المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين

العدد ٢٣٩ - السنة ٢٣ - غرة رجب ١٤٢٣ هـ - ٨ سبتمبر ٢٠٠٢م - الثمن ثلاثة جنيهات

قراءة ما بين سطور بيان خطير !!..

المختار تدير حوار خاص مع الشيخ الجليل الحبيب الجفرى

الأيدى الطويلة والأيدى المتوضئة

وحوار الشهر مع خالد مشعل المتحدث الرسمى لحركة حماس

والدكتور رمضان عبد الله أمين عام حركة الجهاد الإسلامى

من آيات الله

ولله جنود السموات والأرض

قال تعالى : ﴿ إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ﴾

مبينا فى كلامه عز وجل موقع تلك البعوضة بالنسبة للكائنات الأكبر مع ضعفها ، فهى أول دابة تُذكر فى القرآن الكريم وأصغر الدواب التى يتعرف عليها الإنسان بالنظرة العادية ، وجاء ذكر البعوضة مثلا فى الصغر ، والفيل أكبر الدواب حجما ، فيضرب الله المثل للمتدبرين والمعاندين على السواء موضحا أن الله لا يستحى من الحق والعلم .

وأثبت العلم الحديث أن تلك البعوضة كانت سببا فى زوال بعض الدول والحضارات ، وحطمت أحلام عديد من الشعوب فى التقدم ، وعطلت كثيرا من المشروعات الكبرى ، فقد كشفت الدراسات الحديثة كما يقول الدكتور خمساوى الأستاذ بجامعة الأزهر : إن البعوضة تتسبب فى ٣٠٠ مليون حالة ملاريا سنويا بمعدل عشر سكان الأرض ، وأن نوعا منها يسبب مرض الملاريا الذى يصيب نحو ٢٥٠ مليونا بينما ينقل بعض أنواعها نحو ١٥٠ نوعا من الحمى .

كما تسببت البعوضة فى إيقاف مشروع شق قناة بنما التى عزمت أمريكا على شقها ، وأمريكا على قوتها تستطيع مواجهة جيوش العالم ولم تستطع مواجهة بعوضة ، فالبعوض صورة للإعجاز فى الخلق مع ضآلتها حتى أن وزنها لا يزيد على ملليجرام واحد غير أنها تحتوى على جميع الأجهزة الحيوية التى توجد فى الإنسان أو الحيوان الكبير ففيها جهاز هضمى وتنفسى وعصبى وإخراجى وجهاز عضلى له كفاءة عالية يحرك الجناحين بقوة أسرع من أقوى طائر بنسبة ٤٠ مرة وبها أجهزة الحس والبصر والسمع واللمس ، ولها مخ يقوم بوظائف كاملة لا تقل عن مخ الحيوانات الكبيرة وجهاز هضمى ومعدة وغدد لعابية وتصاب المعدة بطفيل الملاريا .

ومع هوان هذا الكائن الدقيق إلا أنها مع هذا الصغر لها خرطوم دقيق مجوف ، وهو من القوة بحيث يغوص فى جلد الفيل والجاموسة مع سمكه المضاعف حتى يصل إلى الدم بل إن من دلالة الإعجاز أن الله ضرب مثلا بالبعوضة المؤنث فى حين أنه ذكر الذباب مذكرا ، وكذلك الحمار وهذا ما لم يعرفه العرب وقت نزول القرآن حتى كشف العلم الحديث عن أن البعوضة الأنثى فقط هى التى تمتص دماء الإنسان والحيوان ، وهى ذات خرطوم ماص وتحتوى أمعاؤها على طفيل الملاريا ، وهذا كله ليس فى الذكر .

السلام عليكم

الأيدى الطويلة والأيدى المتوضئة

جاءت الأحكام التى أصدرتها المحكمة العسكرية بحق أساتذة جامعيين ومفكرين ومهنيين مصريين شرفاء لتمثل واحداً من الأدلة الدامغة التى تفضح السياسة التى تنتهجها الحكومة المصرية إزاء الحريات وحقوق الإنسان وإزاء القضية الفلسطينية ، تؤكد أن الحكومة المصرية أوكلت إلى أجهزة أمنها ملاحقة أصحاب الرأى والفكر فى مصر وفى إخراس كل الأصوات .

إن الحكومة المصرية بأجهزة أمنهاتضع نفسها موضع اتهام على مستوى الداخل وعلى المستوى العربى والإسلامى بمناهضتها الحرية وحقوق أبناء الشعب المصرى ، ومواقفهم الوطنية إزاء قضاياهم وقضايا إخوانهم فى فلسطين .

من وقت لآخر تداهمنا الأنباء باعتقال عدد من كوادر الإخوان المسلمين بتهمة إنشاء تنظيم سرى ، وقد تسارعت وتواترت تلك الأنباء فى الآونة الأخيرة حتى شكلت ظاهرة كاملة متكاملة وهو ما يبعث على الإحساس بالخطر على مستقبل هذا البلد .

بداية فإن من حق الإخوان المسلمين أن يكونّوا حزبا شرعيا وقانونيا وعلنيا ، ومن حقهم أن يمارسوا العمل السياسى والنقابى والتربوى فهذا حق بدهى وطبيعى لكل إنسان ... وثانيا فإن الإخوان المسلمين لم تمارس العنف منذ ظهورها الثانى فى السبعينيات وحتى الآن وهى فترة كافية للحكم بأن ذلك نهج استراتيجى وليس تكتيكيا ... ولا يليق بمصر ولا حكومتها أن تطارد الأيدى المتوضئة أو تداهم اجتماعا طلابيا أو رحلة ترفيهية بدعوى خطر ذلك على أمن الدولة ... أليس هذا مضحكاً ؟.. هل أصبح أمن الدولة هشا إلى هذه الدرجة ؟.. أم أن هناك من يريد استمرار التوتر فى هذا البلد الأمين .

فى كل الأحوال فإننا نطالب بالإفراج عن المعتقلين ، وقف المحاكمات الاستثنائية ، وضع حد للتجاوزات الأمنية ، إعطاء الجميع الحق فى العمل العلنى والقانونى .

يا سادة .. دعوا الأيدى المتوضئة .. وعليكم بالأيدى الطويلة فهو أجدى لهذه الأمة !!..

المختار الإسلامى

خواطر مسلم

ليلى وأخواتها

الصراع المغربى الإسبانى على جزيرة ليلى وهى جزيرة صغيرة "١٣ هكتار" وصخرية ليس فيها موارد ، لا بترول ولا زراعة بل عدة أغنام وبيض طيور بحرية وبرية يلتقطها أطفال القبيلة القريبة من الجزيرة ، هذا الصراع الذى وصل إلى حد إنزال قوات إسبانية للجزيرة ، وطائرات مروحية وسفن حربية يكشف فى بنيانه التحتى العديد من القضايا الأخرى المعلقة بين الطرفين ، ويكشف أيضا من خلال المواقف التى اتخذتها مختلف القوى - أوروبا - أمريكا - من الدول العربية - عن خلفيات التاريخ والجغرافيا والمصالح الاستراتيجية أيضا .

الملفات العالقة بين المغرب وإسبانيا ، كثيرة ومؤجلة ، وهى بالنسبة لإسبانيا نوع من الطمع فى زيادة الموارد والنفوذ والأهمية ، ولكنها بالنسبة للمغرب تمثل الحقوق والسيادة والكرامة ، ولا شك أن إسبانيا ظالمة للمغرب وليس هذا نوع من الانحياز الحضارى الذى يرتب انحيازاً وجدانياً إلى المغرب العربية المسلمة ، ولكنه نوع من القراءة المحايدة ، على عكس ما فعلته دول الاتحاد الأوروبى التى انحازت إلى إسبانيا مهدرة حقوق المغرب التاريخية ومصالحها الحيوية ، وبرغم ما أظهرته إسبانيا من روح التهور ودقها لطبول الحرب ولغة حرب الاسترداد التى تم بمقتضاها إنهاء الوجود العربى فى الأندلس ، وطرد العرب والمسلمين من إسبانيا والبرتغال "الأندلس" ، بل وقتل كل من ينتمى إلى العرب والمسلمين ومنع حتى قبور إسلامية فى تلك الأراضى ، وهو أمر مر عليه أكثر من ٥٠٠ عام إلا أنه لايزال يحرك الوجدان الإسبانى وربما الأوروبى .

إنها محاكم تفتيش مستمرة ولكنها تأخذ صورة محاكم التفتيش العولمية ومنه الهجرة من الجنوب واستمرار نهب الشمال للجنوب والتعامل مع أبناء الجنوب وكأنهم زبالة بشرية

بقلم: د. محمد مورو

ينبغى منع وصولها إلى أوروبا بأى ثمن .

إسبانيا تريد أن تحصل على الأسماك وتزيد مواردها بـ ١,٥ مليار دولار سنويا ، والمغرب الفقير يريد حقه فى حقوق الصيد أو مقابلا ماديا معقولا لا يزيد على ٣٠٠ مليون دولار ولكن إسبانيا ترفض .

إسبانيا تحتل سبته ومليلة وهما موجودتان على الساحل الجنوبى للبحر الأبيض ، وليس بينها وبين أراضى المغرب أى حواجز بحرية أو برية ، وهو نوع من استمرار الاستعمار لم يعد له مجال ، فحتى هونج كونج عادت إلى الصين فلماذا سبته ومليلة ؟!..

إسبانيا تدعم البوليساريو ، ولا تريد أن تعترف بوحدة أراضى المغرب وإبان اشتعال المشكلة الصحراوية ، رفضت إسبانيا أن تعترف بأن الصحراء مغربية ، وقالت إنها كانت أراضى مستقلة ، ولكن المحكمة الدولية قضت بوجود علاقات بين أبناء الصحراء وقبائل المغرب ، فظهرت وحدة التراب المغربى رغم أنف إسبانيا .

إسبانيا تعترف بعدم سيادتها على جزيرة ليلى ولكنها تقتحمها بالجنود والطائرات والسفن !!.. وبدهى أنها لا تعترف بسيادة المغرب عليها التى لا تبعد عنها إلا بـ ١٤٥ مترا فقط لا غير .

إسبانيا تستثمر فى مجال البترول فى الحدود الجزائرية المغربية ، ولا تراعى الحقوق المغربية .

وهكذا فإن إسبانيا تظلم المغرب ، وتجر وراءها الاتحاد الأوروبى ، ولعل ذلك فى حد ذاته يكشف جانبا من الصراع الحضارى الذى ظل محتدما فى المغرب العربى لدرجة أن المؤرخين هناك يسمونه حرب الألف عام .

والأكثر عجبا أن أوروبا وإسبانيا تريدان من المغرب أن تتحول إلى حارس لبوابة أوروبا من المخدرات والهجرة غير الشرعية .

وكأن المغرب خادم بلا ثمن ، ولا سيادة ولا كرامة ، وهو أمر يستدعى الاستفزاز بالطبع ، ويقتضى دعما عربيا للمغرب ، وكأن علينا أن نفتح جبهة أخرى للصراع مع كثرة الجبهات التى تنزف من وجودنا العربى والإسلامى ، ويبدو أنه قدر مكتوب علينا .

يا قومنا العرب .. إن المغرب تقف على ثغر هام من الثغور فحافظوا على ثغوركم !!..

باب الأمل

ليس لنا من باب للأمل فى هذا الوقت الصعب إلا العمليات الاستشهادية ، فمع الضعف الحكومى العربى والإسلامى ، ومع تكالب القوى الاستكبارية علينا ، ومع الظلم المستمر الذى تعانيه أمتنا عموما والشعب

خواطر مسلم

الفلسطيني خصوصا ومع المؤامرة الدولية مؤامرة الصمت أو دعم العدوان مع الدم النازف في أربعة أرجاء المعمورة ، ليس للمسلمين إلا الله ثم العمليات الاستشهادية ، ذلك أن تلك العمليات هي الإفراز الصحيح لحالة الجهاد والمقاومة والتمسك بالصمود والصبر ، وقبل ذلك وبعده الثقة في الله تعالى، إنها روح الأمة وسر وجودها واستمرارها ، وبدهي أنه سلاح لا يحتاج إلا للإيمان ووسائل بسيطة ، وهو قادر على إحداث نوع من التعادل الموضوعي في الميزان الاستراتيجي وقادر بالتالي على انتزاع الحقوق ، أو على الأقل المحافظة على الجذوة مشتعلة تحت الرماد لتسليمها سليمة إلى الأجيال القادمة التي ربما تكون أكثر قدرتمنا على مواصلة النضال بوسائل أوسع وأقوى ، ولولا سلاح الاستشهاد لانتهت الأمة لا قدر الله .

وهكذا فإن العمليات الاستشهادية التي تنفذها حركات المقاومة الفلسطينية بعد كل ما قامت به إسرائيل من عمليات اجتياح وتدمير وقتل واعتقالات .. يعني أن تلك المقاومة لا تموت ، ومهما فعلت إسرائيل وأمريكا فلن يستطيع أحد القضاء على تلك المقاومة ، وأنها قادرة في كل الظروف على العمل ، وهذا في حد ذاته يفتح باب الأمل والتفاؤل وينشر روح الانتصار في الواقع الشعبي العربي والإسلامي .

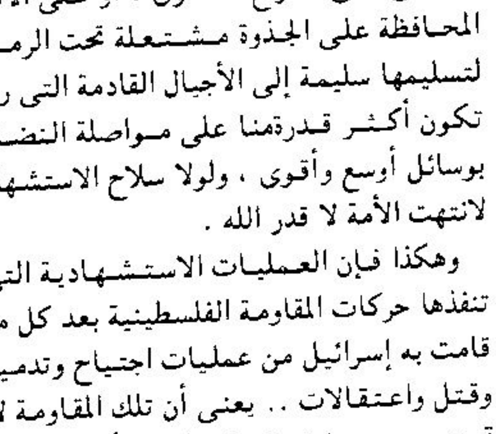

محاكمة إبراهيم نافع

أصدر قاضي التحقيق الفرنسي "بودوان توفينو" قراراً باستدعاء الأستاذ إبراهيم نافع رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير الأهرام ، وهي أكبر مؤسسة صحفية عربية، والأستاذ إبراهيم نافع هو رئيس مجلس نقابة الصحفيين المصريين "نقيب الصحفيين المصريين" ورئيس اتحاد الصحفيين العرب للتحقيق معه أمام المحكمة العليا في باريس ، وذلك بتهمة التحريض على الكراهية والعنف العنصري ، وسوف يجري التحقيق معه وفقا لقانون الإجراءات الجنائية الفرنسي بناء على طلب النائب العام الفرنسي بسبب مقال نشرته جريدة الأهرام في شهر اكتوبر "تشرين أول" عام ٢٠٠٠ لأحد كتاب الأهرام ، والمقال موضوع التحقيق يروي واقعة قديمة جرت أحداثها عام ١٨٤٠ ومسجلة في المحكمة الشرعية في حلب ودمشق > ونُشرت من قبل في عشرات الصحف والكتب باللغات المختلفة ومنها اللغة الفرنسية ذاتها وذلك في كتاب المستشرق الفرنسي شارل لوران بعنوان "حادث قتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمارة". والحادثة عبارة عن اختفاء الأب توما وهو من رعايا الحكومة الفرنسية في دمشق عقب دخوله حارة اليهود في دمشق ، وتم اتهام اليهود بذبحه وصنع فطير مقدس بدمه على أساس أن تلك طقوس يهودية، وقد شهد بذلك شاهدان يونانيان مسيحيان أكدا أن الحاخامات اليهود قد خطفوا الأب توما وقتلوه واستصفوا دمه

لاستخدامه في صنع فطيرعيد الفصح ، وقد صدرت أحكام من المحكمة في دمشق بإدانة الحاخامات اليهود.

وبصرف النظر عن أن القضية حقيقية أم ملفقة ، وبصرف النظر عما إذا كانت هناك طقوس يهودية - قديمة توقف استخدامها فيما بعد - تفرض صنع فطير عيد الفصح اليهودي بدماء مسيحية ، فإن القصة لم يخترعها كاتب المقال ولا رئيس تحرير الأهرام، بل هي قصة مشهورة ومعروفة ، وصدرت عنها كتب وروايات ومسرحيات بمختلف اللغات ، ومثلها مثل قصة تاجر البندقية للأديب الإنجليزي وليم شكسبير ، التي تتحدث عن المرابي اليهودي الذي طلب أن يأخذ رطلا من لحم أحد المدينين له وفاء للدين ، فهل الحديث عن تلك المسرحية الشكسبيرية يعد تحريضا على العنف والكراهية مثلا والعنصرية والعداء للسامية مثلا ، ولماذا لا نتعامل مع المسألة بشكل بسيط وهو أننا لسنا ضد اليهود كيهود ، ولا كدين ولا كطائفة ، ولكننا ضد الممارسات والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين ، وأننا نرفض اضطهاد اليهود وندين كل ما يحدث من اضطهاد لهم على يد النازي ، أو غير النازي أو حتى على يد الأسبان والبرتغاليين إبان طرد المسلمين واليهود من الأندلس !!.. ولكننا في نفس الوقت نرى أن اليهود كطائفة أو ديانة بها الكثير من اليهود المنحرفين الذين مارسوا أعمالا بشعة جماعية وفردية ، وأنهم في معظمهم قد ارتكبوا جرائم كبيرة "جريمة احتلال فلسطين" مثلا التي يعيش بها ٥ مليون يهودي ظلما وغصبا ويمارسون أحط أنواع الممارسات وأبشعها ، ويؤيد الصهيونية أي الجرائم والظلم معظم يهود العالم ، ونحن ضد هؤلاء جميعا ومع فضحهم وعقابهم ، ولكن في نفس الوقت هناك يهود يرفضون الصهيونية وبعضهم يقف مع الحق العربي مثل ناعوم تشوسكي "المفكر الأمريكي اليهودي وعالم اللغويات وأستاذ الجامعة المعروف" ، وهناك حاخامات ويهود عاديون يرفضون إسرائيل لأسباب دينية مثل جماعة ناطوري كارتا "حراس المدينة" التي ترى أن إسرائيل عمل ضد الرب وأنه ينبغي إزالتها من الوجود وإعادة فلسطين بالكامل إلى أهلها ، أو لأسباب إنسانية مثل عدد كبير من الفنانين والمبدعين اليهود .

وفي الحقيقة فإن القرآن الكريم قد قال ذلك بالضبط ، فقد ندد بممارسات معظمهم ضد الأنبياء واستكبارهم على الله ، ولكن كان منهم أيضا مريم وعيسى وآل عمران وموسى وهارون ويحيى وزكريا ... إلخ ، وهم قوم صالحون بالطبع .

إذن فالحديث عن حادثة منسوبة لحاخامات يهود في دمشق عام ١٨٤٠ أمر لا يعني بحال من الأحوال التحريض على الكراهية أو العنصرية أو العداء للسامية ، وإلا كان القرآن الكريم نفسه متهما بنفس التهمة ويتعرض من يتلوه أو يعلمه لملاحقة المحاكم الفرنسية ، وكذا من يذيع مسرحية تاجر البندقية ، أو كل من يندد بسلوك يهودي معين ، وبدهي أن الموقف غير العنصري يقتضي عدم استثناء المخطئين من اليهود من النقد والعقاب لمجرد أنهم يهود وإلا كان ذلك هو الوجه الآخر للعنصرية ، وتكريسا لمبدأ عنصري يجعل اليهود فوق الجميع وطائفة مستثناه وشعب الله المختار مثلا !!..

والحقيقة فإن محاكمة الأستاذ إبراهيم نافع تكشف عن جوانب كثيرة وهامة في مسألة

عنصرية الإسرائيليين واليهود المؤيدين للصهيونية ومعظم اليهود ، وكذا كانت محاكمة روجيه جارودى من قبل لمجرد الحديث عن أرقام وحقائق تخضع للعقل والمنطق والتصحيح والتشكيك ، وكذا القوانين الأوروبية التى تحرم وتجرم التشكيك فى أرقام الضحايا اليهود على يد النازى ، وتأييد ما حدث لليهود شئ ورفض المبالغة فى الأرقام وإخضاعها للفحص التاريخى والعلمى شئ آخر .

على كل حال فهذه القوانين والمحاكمات تثبت أن هناك احساسا لدى معظم اليهود بالتفوق وهذا شكل من أشكال العنصرية ، وإحساساً بعدم خضوعهم للنقد وهذا شئ أيضا من أشكال العنصرية ، ولعل قيام إسرائيل نفسها وقانون العودة هو تكريس لتلك العنصرية !!..

الجانب الثانى فى المسألة هو أن ما حدث لليهود على يد النازى أيا كان حجمه ، والقصص والمسرحيات والأحداث التى تصف اليهود بصفات معينة معظمها ممارسات أوروبية أو مسيحية ، والعرب والحضارة الإسلامية لا علاقة لها بذلك، فاليهود مثلا عاشوا سعداء فى ظل الحضارة الإسلامية فى الأندلس قديما ، وفى مصر والعراق وإيران والمغرب واليمن ومعظم بلاد العالم الإسلامى والعربى حديثا ، ولايزال بعضهم يعيش فى المغرب وإيران ولديهم حقوق عالية جدا اقتصادية وسياسية فلا محل لاتهام العرب والمسلمين تحديدا بالعداء لليهود أو اضطهادهم بل إن محاكم التفتيش والإبادة التى لحقت باليهود فى الأندلس لحقت بالمسلمين أيضا وأكثر .

وهكذا فالاضطهاد الحقيقى أو المزعوم ضد اليهود تاريخيا وحاضرا كان فى معظمه أوروبيا أو مسيحيا وبالإضافة إلى ذلك فإن العرب أبناء إسماعيل بن إبراهيم هم ساميون أكثر من اليهود الذين منهم من هو من نسل إسحاق ويعقوب والأسباط ، ومنهم من جاء من يهود الخزر وشرق أوروبا ولا علاقة له بسام أو إسحاق أو إبراهيم ، وعلى كل حال فإن المرء يصاب بالعجب فى موضوع العداء للسامية ، فمن المفروض أن الاضطهاد والتمييز ضد العرب سواء بإقامة إسرائيل على حساب الشعب العربى الفلسطينى أو الممارسات ضد العرب المهاجرين فى أوروبا وأمريكا وازدواج المعايير الدولية مع القضايا العربية والإسلامية تحدد كلها نوع من العداء للسامية ، فلماذا لا تتحرك القوى والمنظمات التى تجرم العداء للسامية لملاحقة هذا العداء للسامية ، أم أن سام بن نوح قد أنجب إبراهيم فيما بعد ، وأنجب إبراهيم إسماعيل واسحاق ، فاعتبر الأول لا إنسان هو وأبناؤه ، والثانى هو الوحيد الإنسان ونسله ؟.. أم أن العرب صراصير على حد قول الحاخام عوفاديا يوسف وغيره ، وهذا الحاخام الإسرائيلى المذكور وغيره سبوا العرب مراراً وتكراراً، فهم صراصير ينبغى سحقها بالأحذية ، وهم مثل النحل، وظفر اليهودى الواحد بألف عربى ... إلخ ، فلماذا لم يتحرك أحد لملاحقة هذا الحاخام وأمثاله قضائيا ؟!..

ملاحقة الأستاذ إبراهيم نافع قضائيا استند إلى مواد القانون الفرنسى الصادر فى

١٨٨١/٧/٢٩ ، والقانون الصادرفى ١٩٨٢/٧/٢٩ ، وذلك بناءعلى مذكرات قامت بها جماعات مدنية - أين جماعاتنا المدنية ؟!.
- اتهمت الرجل والصحافة العربية بالعداء للسامية ، وملاحقة الأستاذ إبراهيم نافع باعتباره أكبر رمز صحفى أو فكرى عربى، فهو رئيس مجلس إدارة أكبر مؤسسة صحفية عربية وهو نقيب الصحفيين المصريين ورئيس اتحاد الصحفيين العرب ، يعنى أن الرسالة التخويفية واضحة ، فالجميع يمكن أن يُلاحقوا ، فها هو أكبر رمز يتعرض للمحاكمة ، وعلى الجميع أن يعد أصابعه ، خصوصا هؤلاء الذين لهم مصالح وسفريات فى أوروبا ، وأعتقد أن المسألة ستؤثر بالفعل فى بعض الأقلام العربية ولكنها لن تزيدنا إن شاء الله وكل الشرفاء إلا تمسكا وإصراراً على مواجهة العدوان الصهيونى الأمريكى- ولدينا ثقة فى أنفسنا وفى ديننا وفى ثقافتنا ، فنحن دينيا وقوميا غير عنصريين وحضارتنا قامت على التنوع ، شارك فيها الأسود والأبيض والأصفر والأحمر،العربى والتركى والفارسى والهندى والأوروبى ، المسلم والمسيحى واليهودى وبالتالى ، فنحن حين نهاجم ممارسات الصهاينة أو اليهود المؤيدين لإسرائيل نفعل ذلك ونحن واثقون أنهم العنصريون وأننا نواجه ونحارب العنصرية فى الحقيقة .

محاكمة الأستاذ إبراهيم نافع تكشف كما تكشف كل الأشياء تقريبا حاليا وآخرها تقرير الأمم المتحدة بشأن جنين - أننا بإزاء دكتاتورية عالمية أمريكية - صهيونية قادرة على ابتزاز الجميع بما فيهم القضاء الفرنسى ، وهذه الديكتاتورية العالمية اختارت العرب والمسلمين ليكونوا ضحايا تلك الديكتاتورية ، وأول من تستهدفه بمعاييرها المزدوجة وممارساتها العنصرية .

اتفاق مكاكوس

اتفاق مكاكوس أو بروتوكول مكاكوس الذى وقعه كل من غازى صلاح الدين عن حكومة السودان ، والقائد سالفاكير مبارديت عن الجيش الشعبى لتحرير السودان، والذى شهد عليه الجنرال لازارو سومبيا المبعوث الخاص"لايجاد" .. هذا الاتفاق الذى تم فى بلدة مكاكوس فى كينيا بعد مباحثات استمرت فى الفترة من ١٨ يونيو إلى ٢٠ يوليو بين وفدى الطرفين تحت رعاية عملية "ايجاد" للسلام ، هل يفتح الطريق لسلام حقيقى تعيشه السودان ، ومن ثم تنمية واستقرار بعد حرب أهلية طويلة كانت تستنزف ٢ مليون دولار يوميا من الخزانة السودانية وتمنع بالطبع عمليات التنمية فى أكثر من مكان فى السودان وخاصة فى الجنوب بسبب ظروف الحرب، فضلا عن ١.٥ مليون قتيل و٤ مليون لاجئ فى شمال السودان أو فى دول الجوار الإفريقى .

هذه الاتفاقية .. هل تملك مقومات النجاح أم أن العملية كلها تمت بصورة قيصرية ولم تشهد ولادة طبيعية ومن ثم فهناك احتمالات شتى لفشلها ؟!.. وإذا كان كل من الرئيس السودانى عمر البشير ورئيس حركة الجنوب جون جارانج قد التقيا فى أوغندا بعد توقيع الاتفاقية وكذا أوفدت الخرطوم عدداً من المسئولين إلى العواصم العربية للحصول على تأييدها أو عدم معارضتها وخاصة القاهرة ، فهل يكفى ذلك لنجاح هذا الاتفاق ؟!..

الأيام بالطبع ستكون هى الفيصل فى الحكم

على مدى نجاح هذا الاتفاق أو فشله ولعل القراءة الأولية لنصوص هذا الاتفاق أو البروتوكول أو إطار الاتفاق كما تصفه الدوائر الأساسية أو الإعلامية وكذا ما دار من مفاوضات وتداخلات إقليمية ودولية ربما يكشف فى جانب منه عن طبيعة هذا الاتفاق ، وحسب المتسرب من أجواء المفاوضات فإن الحكومة السودانية أصرت على فترة انتقالية قدرها ١٠ سنوات وأصرت الحركة على سنتين فقط برغم التوصل إلى حل وسط جعلها ٦سنوات وهى فترة انتقالية يتم بعدها إجراء استفتاء .

وكانت الحكومة السودانية تطرح استفتاء حول طبيعة الحكم والدستور وتوزيع الثروات والمسائل الفنية الأخرى مع المحافظة على وحدة السودان إلا أن وفد الحركة الشعبية رفض ذلك تماما وأصر على طرح الانفصال بدون مراوغة وبوضوح ، وتدخلت الحكومتان الأمريكية والبريطانية لصالح الحركة فى هذا الصدد وهددت حكومة السودان بشدة وأنه إذا لم يتم إقرارالاتفاق بصورة تحقق إمكانية الانفصال فإن الحكومتين ستحملان حكومة الخرطوم مسئولية فشل المفاوضات .. وفى تلك الحالة سيتم حصار السودان ودعم قوات التمرد بالمال والسلاح وفرض نفس الشروط بالقوة ، وقد اتصل الوفد السودانى بالرئيس البشير الذى عقد اجتماعا لحكومته وانتهى الأمر بالموافقة على صيغة تحقق مطالب الحركة الشعبية أو بالأحرى مطالب الإنجليز والأمريكان !!..

وقد اعتبر البعض هذا الأمر فخ أمريكى بريطانى لتقسيم السودان ، لأن البدهى أن حركة التمرد التى تسيطر على معظم الجنوب سوف توجه بالقوة أو غيرها الناخبين إلى خيار الانفصال وكذا الإعلام الغربى والدوائر الكنسية والاستعمارية والصهيونية التى سوف تدفع المال اللازم لشراء الناخبين وتثير الدعايات اللازمة لهذا الأمر ، وكل ما استطاع السودان أن يحصل عليه فى هذا الصدد وهو قصر السؤال على تحديد مصير جنوب السودان فقط دون أن يطال مناطق أخرى مثل جبال النوبة أو جنوب النيل .. النيل الأرزق أو شرق كردفان أو غيرها ، ولكن من يضمن ألا تتحرك المطالبات فيما بعد فى هذه المناطق وغيرها ؟.. وإذا كانت مشكلة الجنوب مثلا والتى زرعتها بريطانيا من أوائل القرن الماضى وشهدت الكثير من المحطات إلى أن أوصلت إلى حركة التمرد منذ عام ١٩٨٣ قد أخذت كل هذا الوقت لتحقيق طرح صيغة الانفصال وموافقة الحكومة السودانية عليها ، فيمكن بالقياس توقع الشئ نفسه بالنسبة لمناطق أخرى بعد سنوات أو عقود ، وهو ما يطرح وجود السودان كله للتساؤل ، وهل يصبح هذا الوجود فى مهب الريح !!..

فى نفس الإطار جرى التفاوض حول الشريعة الإسلامية ، وحول اقتسام الثروات ، وصل المتفاوضون إلى صيغة نزلت بالشريعة الإسلامية إلى أن تكون أحد مصادر التشريع ولا تلزم أهل الجنوب ، ويمكنهم اختيار ما يلائمهم من قوانين خلال الفترة الانتقالية ، وكذا جرى الاتفاق "تقسيم الثروات وخاصة الثروة النفطية التى تم اكتشافها فى مناطق الجنوب" وتقدر ثروة السودان النفطية حاليا

بحوالي ٢٠٠ ألف برميل يوميا ٨٠٪ من مناطق الجنوب ، وحسب الدراسات العلمية فإن من المتوقع أن تظهر اكتشافات بترولية هامة فى الجنوب ، وأن هذا البترول عالى الجودة مما أطمع الولايات المتحدة فى الدخول على الخط والاهتمام بالوصول إلى صيغة تضمن انفصال الجنوب وإقامة دولتة المستقلة ، والتى ستخضع للنفوذ الأمريكى والصهيونى بالطبع لأنها بلا موارد ولا كفاءات إلا هذا البترول وليس لها منفذ على البحر ، وبالتالى ستكون بالكامل تحت هيمنة الأمريكان الذين سيستثمرون البترول ، ويحققون تواجداً عسكرياً ونفوذاً استراتيجيا ويتحكمون ومعهم إسرائيل فى موارد المياه التى تأتى إلى مصر ، ويهددون الأمن القومى لمصر بالتواجد فى خصرها الجنوبى ، وهو ما يجعل مصر غير قادرة على عرقلة المشروع الأمريكى الصهيونى فى الشرق الأوسط وإفريقيا !!..

ومن نافلة القول هنا أن النفوذ الصهيونى والعلاقات الإسرائيلية مع حركة جون جارانج قديمة ومعروفة وزياراته ورفاقه فى الحركة لإسرائيل معروفة ، وكذا فإن الدعم الذى حصل عليه جون جارانج من القوى الاستعمارية والكنسية الأوروبية كان فى جزء منه لحصار مصر ودورها السياسى والثقافى والعروبى والإسلامى وإضعافها واخضاعها !!.

ويمكننا أن نربط هنا بسهولة بين ما يحدث فى أطراف العالم العربى عموما ، فالمسألة تبدو وكأنها خطة حصار محكمة العدوان على العراق فى الشرق وإمكانية تقسيمه واحتلاله التحالف التركى الإسرائيلى ، إثارة النزعات التاريخية فى المغرب العربى وإثارة المشاكل مع المغرب حول الجزر "ليلى مثلا" وما يحدث فى السودان وجنوبه ، هل كل هذه الأمور المترابطة والمتزامنة تحدث بمحض الصدفة ؟.. إن مرحلة جديدة من التقسيم والتجزئة للوطن العربى ودوله وشعوبه أصبحت الآن فى الوقت الملائم للتنفيذ ، بمعنى أنها كانت مُخططة سلفا .

هذا الكلام ، وخاصة بالنسبة لجنوب السودان لا يصدر من فراغ ، بل إن قراءة ما فعله الاحتلال الإنجليزى فى هذا الموضوع يؤكد أن المؤامرة قديمة ، فقد أدارت بريطانيا جنوب السودان كوحدة منفصلة عن السودان وأضافوا إليه جبال النوبة وجنوب النيل الأزرق وأطلقوا يد المبشرين للعمل فى تلك المناطق لقطع الصلات الدينية واللغوية والثقافية مع الشمال ومنع التجار العرب وأبناء الشمال من دخول الجنوب ، ومنع الجنوبيين من التعليم فى الشمال ، وعدم السماح للجنوبيين باستخدام الأسماء العربية أو ارتداء الزى السودانى التقليدى "الجلباب السودانى" وضمت مناهج التعليم دروسا ورسوما تصور الشماليين كتجار رقيق وكان من بين دروس المطالعة درس يبدأ هكذا (محمد من الشمال) محمد عربى .. محمد تاجر رقيق .

كان الدرس يحتوى على صور تظهر السلاسل فى يد الجنوبيين بشكلهم الإفريقى المميز وصورة شمالى عربى يحمل كرباجا يسوقهم به إلى سوق العبيد !!..

وبعد خروج الإنجليز ، اشترط الإنجليز دائما فصل السودان عن مصر وتمت جريمة الفصل عام ١٩٥٦ ، وكان معنى هذا إزاحة النفوذ الثقافى المصرى وكذلك القوة المصرية السياسية والعسكرية من المعادلة ، وهذا فتح الطريق لإعلان ظهور حركة التمرد .. كما قامت إسرائيل والولايات المتحدة فيما بعد بمد

نفوذها إلى القرن الإفريقى وجنوب السودان ومنطقة البحيرات كنوع من الحصار الاستراتيجى على مصر ، وبدهى أن السودان وحده لم يكن قادرا على مواجهة كل هذه المؤامرات بدون الوحدة مع مصر ، لأنه أيا كان الدعم المصرى بدون وحدة كاملة فإنه سيكون محدودا ومختلفا شكلا ونوعا عن حالته فى حالة الوحدة ، وهكذا فإن الفصل الأول من الجريمة .. جريمة تمزيق السودان وتهديد مصر والتحكم فى ماء النيل شريان الحياة بالنسبة لمصر" وزرع صخر فى خصرها الجنوبى كان هو الانفصال المشئوم عام ١٩٥٦ .

ولأن الشأن السودانى مصرى والشأن المصرى سودانى ، ولا حل لمشاكل السودان إلا بالوحدة مع مصر ، ولا أمن لمصر إلا بالوحدة مع السودان ، وهو الأمر الذى تمسك به كل حكومات مصر قبل محمد على وأثناء حكمه وبعدها مهما كان الثمن واستمر لمئات السنين وربما لآلاف السنين منذ الفراعنة "حتشبسوت نموذجا" ، فإن الأطرف المريبة "أمريكا وبريطانيا وجو نجارانج" عمدت إلى محاولة عزل الدور المصرى ومنعه ، وتجاهلت المبادرة المصرية الليبية واعتمدت على مبادرة الإيجاد التى تنص صراحة على إمكانية انفصال الجنوب عن السودان ، وهو الأمر الذى ترفضه ورفضته وسترفضه مصر دائما لأنه يمثل خطراً على وجودها ومصالحها الحيوية والحياتية ، وبدهى أن مصر ستسعى إلى إفشال هذا الاتفاق أو وصوله إلى محطة استمرار الوحدة ولها فى هذا الشأن أوراق كثيرة يمكن أن تستخدمها وهذا ما يجعل هذا الاتفاق ضعيفا من هذه الناحية ، وبدهى أن انفصال الجنوب أيضا يمثل خطراً شديدا وإن كان أقل من الخطر على مصر بالنسبة للدول العربية عموما ، والشمال الإفريقى العربى خصوصا ، ومن المتوقع أن تسعى مصر لرص صفوف الدول العربية لمنع الانفصال ، ولن تقبل مصر بالانفصال إلا مُكرهة ومُرغمة .. والسؤال هل تصل قوة الولايات المتحدة وقدرتها فى فترة العولمة والعسكرة ومشروع محاربة الإرهاب بعد ١١ سبتمبر إلى حد إرغام مصر على قبول ذلك أو تجرع السم أو بتر الأطراف ؟!!.. وإذا كان الانفصال مرفوض مصريا وعربيا وإسلاميا فإن هناك إهمال تم فى حق السودان كان أوله السماح بفصل السودان عن مصر وثانيه ترك شعب السودان وحكومته بلا دعم عربى ومصرى وإسلامى كبير لتحقيق استقرار ، وانجاز تنميته قبل أن تتمكن منه القوى المتربصة إسرائيل وأمريكا فى مرحلة لم يعد أحد قادر على مواجهتها مع وجود صواريخ كروز والتدخل السريع ومشاة البحرية وقرارات مجلس الأمن الجاهزة والمناطق الآمنة ، والحديث الكاذب عن انتهاك حقوق الإنسان وضرورة الإصلاح وتحديد أسماء الرؤساء !!..

نحن هنا بالطبع لا نلتمس العذر للسودانيين ولا لحكومة البشير ، فما حدث أيضا كان محصلة للانقسامات بين الأحزاب السودانية والمهاترات التى حدثت بينها طوال الفترة الماضية وقبلها ، وانتفاء مصلحة السودان ووحدته من ممارسات الحكومة والأحزاب على حد سواء ، بل فى الانقسام الذى حدث أيضا بين الترابى والبشير أيا كان المخطئ والمصيب وإذا كان اقتسام السودان وتهديد مصر أصبح

أمرا محتملا ، فإن هذا كان محصلة لجرائم صنعها الأعداء وأخرى صنعناها لأنفسنا بأنفسنا .

ومن الأمور التى يمكن أن تهدد هذا الاتفاق تلك المراوغة المعروفة عن جون جارانج وحركته ، فالرجل طرح نفسه ماركسيا فى البداية ، ثم تعاون مع إسرائيل ثم أمريكا ومجلس الكنائس الأوروبى ، وقدم نفسه كضحية للتعصب الدينى أو القومى ، أو مناضلا ضد الرق !!.. الذى يمارسه الشماليون .. وهى لغة تجد آذانا صاغية فى الأوساط الغربية خصوصا المتربصة بالعرب والمسلمين والباحثة عن كل ما يشوههم وكذا قدم نفسه للأفارقة كمناضل إفريقى ضد الوجود العربى أو العرق العربى فى الشمال ، وهوالذى كان يزعم أحيانا فى زياراته لمصر أنه مع وحدة السودان ليلعب على التناقضات بين الحكومتين المصرية والسودانية فى فترات التوتر ، والذى يقدم لكل جهة ما تريد سماعه من مواقف ، هذا الرجل وحركته لن يهدأ له بال حتى يثير المشاكل فى جنوب النيل الأزرق أو جبال النوبة ، ولن يقتصر على الجنوب ، وكذا فإنه لا يمثل إلا ١٠٪ من سكان الجنوب ينتمون إلى قبيلته ، وممارساته ضد القبائل الأخرى معروفة ومشهوره وبالتالى لا يصلح أن يكون متحدثا باسم كل الجنوب ، والأمر نفسه بالنسبة لحكومة السودان غير المنتمية ديمقراطيا فإنها فى اتفاق يحدد مصير السودان وله خطورته على المستقبل لا يصح أن تنفرد بالقرار فى غياب القوى والأحزاب والطوائف الأخرى التى لها وجود غير منكور فى التركيبة السكانية والثقافية والدينية السودانية .

وهكذا فإنه فى وجود الإكراه المادى والمعنوى من أمريكا وبريطانيا ودول الجوار الإفريقى الداعم لجارانج ، وغياب قوى لها مصالحها مثل مصر والعرب وعدم تمثيل كل أهل الجنوب وكذا غياب تمثيل القوى والأحزاب السودانية فإن الاتفاق لا يمكن أن يمتلك مقومات نجاح حقيقى بدون استمرار الإكراه الأمريكى "سيف المعز وذهبه" على مصر وعلى العرب وعلى القوى السودانية الأخرى وعلى الجنوبيين أنفسهم،وربما يكون إطلاق وصف "أوسلو جديدة" الذى استخدمه بعض الكتاب هو وصف صحيح أو يمتلك مقومات مشابهة ، لأنه نوع من انفراد حكومة السودان بتقرير أمور تخص كل السودان ومصر والعرب بمنأى عن هؤلاء ، والأمر يقتضى حركة مصرية وعربية وإسلامية بل وسودانية لمنع الانفصال الذى سيكون بداية النهاية الحقيقية ولو بعد عشرات السنين للوجود المصرى ، وربما العربى فى إفريقيا ، ولاستمرار حياة مصر نفسها أو تحويلها إلى متسول يتسول رضا من يعطى الماء ويُسمح له بالمرور ، ومن يحركه أيضا سواء إسرائيل أو أمريكا أو حتى أوغندا وكينيا وإذا لم يكن هناك حل ، وإذا لم يكن هناك قدرة على وقف الصخرة المتدحرجة والتى ستسقط فوق رءوسنا حتما ، فلا أقل من إعلان وحدة اندماجية مصرية سودانية ليبية حتى لو كان الثمن عدوانا أمريكيا لمنعها ، فعلى الأقل نكون قد حاولنا أمام الله ثم الأمة ثم التاريخ ثم الأجيال القادمة !!..

ويدهى أن رفض انفصال الجنوب ، أو المطالبة بوحدة مصر والسودان لا يبرر بأى حال من الأحوال إهدار حقوق الجنوبيين أو ممارسة الظلم الثقافى أو الاقتصادى بشأنهم ، بل أن يكون ذلك مدخلا لإنصافهم على كل مستوى.

د . محمد مورو

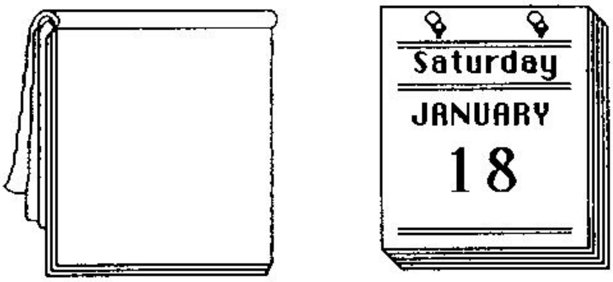

قطع عيش

حقيقى أن الحيوان لا يعض اليد التى تطعمه، والكلب صديق الإنسان الوفى يطمر فيه المعروف فلا يلاحق بالنباح من ينفحه بعظمة، وربما أخذ على عاتقه حراسة الأولاد والدفاع عن حرمة الدار لو جاد عليه أصحابها بفتات موائدهم .. إلا أن الحيوان الأليف سرعان ما ينسى ما حظى به من عظمة وفتات مائدة ويتحول إلى وحش مفترس إذا اعتدى عليه البشر أو حاولوا أن يلحقوا بصغاره الأذى !.. عندئذ لن يكتفى الكلب بالنباح بل سيعوى كالذئب الجائع يهاجم ويطارد دون يفسح المجال للتفاهم .. والإفريقيون الذين يتعايشون مع الحيوانات البرية الضارية يدركون مغبة عدم احترام حكرهم من الأرض والتعدى على نسلهم .

د.عبدالفتاح الحسينى

نزاع فريقين

الداعون لمقاطعة البضائع الإسرائيلية وبضائع كل من تشدد لإسرائيل والذين خلفوها من شركات ودول وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية رداً على ما يقوم به الجيش الإسرائيلى من مجازر فى فلسطين ليسوا مشتطين ولا مغالين كما يدعى البعض فليس هناك أشد إيلاما من إيقاع الوجع على الجيب سواء على المستوى الشخصى أو المؤسسى أو الدولى فكما يقول المثل "عض قلبى ولا تعض رغيفى ؛.. إن قلبى على الرغيف رهيف". وأما عن تفعيل المقاطعة فكثير من المروجين للمقاطعة يكتفون بتحريض الشعوب والأفراد، والقلة تصر على مطالبة الحكومات أن تصدر قرارات رسمية بالمقاطعة .

والمعارضون للمقاطعة ربما لا يكون كلهم من المتسيبين والمفرطين فبعضهم يرى أن المقاطعة لن تؤثر فى اقتصاديات الأمريكيين إلى حد إيقاف العون لإسرائيل، والقلة تؤكد أن حركات المقاطعة فاشلة مستندة فى حجتها إلى تجارب سابقة حُكم عليها بالفشل ..

والبعض يشفق على المواطنين من أصحاب توكيلات الشركات الأجنبية من الإفلاس، وتكبد مشقة التجارة فى المنتجات الوطنية أو اضطرار بعضهم إلى إنفاق ما ورائهم وما قدامهم من أموال على إنشاء مصانع ومتاجر وطنية قد لا تنجح ؛.. أما الأغلبية فترى أن المقاطعة ستغلق أبواباً يرتزق منها أصحاب العيال، الذين سيُحرمون من فرص العمل، وما يترتب عليها من أكل اللظى فتوفير لقمة العيش لم يعد هينا ؛.. أى أن الخاسر الأكبر، بالعربى الفصيح ، هو الشعب.

لكل من الفريقين مؤيد أو مروج ومعارض وجهة نظر، وربما لم يجاف أى منهما الصواب فى تعامله مع الواقع ؛.. غير أن هوة الاختلاف فى الرأى تتسع عندما يتغافل الطرفان عن الخلفيات التى تدفع إلى الموقف المتباين بينهما ؛..

ويحتدم النقاش بلا طائل عن سلاح المقاطعة فى إطار القضية الفلسطينية وحدها دون الدراية بإيجابياته ومثالبه من وقائع الماضى والحاضر فى ملابسات أخرى وقضايا عديدة مماثلة .

أيام زمان

فيما عدا الرسوم الجمركية المعتدلة على الواردات كانت الأسواق المحلية مفتوحة على مصراعيها لكل أصناف السلع فى جميع الدول؛ صغيرها وكبيرها باستثناء الدول

الشيوعية. وكانت البضائع الأجنبية عالية الجودة حتى تتمكن من منافسة البضائع المحلية والمنتجات المماثلة التى تباع فى الأسواق العالمية. ورغم ذلك كان العديد من المواطنين يصرون على شراء المنتجات القومية حتى لو كانت جودة المنتجات الأجنبية أفضل وسعرها أقل .

أما ما كان يسمى برءوس الأموال الأجنبية فلم يكن سوى استثمارات شخصية أو عائلية لأجانب يعيشون فى البلد نفسه وربما كانوا من أحفاد أجانب استقروا فى دولة اعتبروها وطنا جديداً لهم فرءوس الأموال والأرباح كلها تبقى فى البلد وتنفق فيه. وما كان يسمى بمصانع أجنبية لم تكن إلا مصانع قومية يملكها أجانب من أبناء البلد. تماما كما يقوم مواطن أمريكى من نسل عربى بتشييد مصنع فى أمريكا. ورغم هذا فإن بعض المواطنين كانوا يفضلون التعامل مع الشركات والمحلات التى ليس لها صبغة أجنبية درءا للشبهة .

ونظرا للفسحة الواسعة فى الأسواق المحلية كان الناس يتمتعون بحرية انتقاء ما يشترون مهما ضاقت عليهم الأحوال المعيشية. وكان من السهل على الأفراد والجماعات أن يقطعوا دابر أى منتج لا يرتاحون إلى وجوده فى السوق. ولعل البعض يذكر إشاعة انتشرت على أن الكوكاكولا تحتوى على دم خنزير. عندئذ أجمع الناس على التوقف عن شربها ومقاطعتها؛ ورغم أن شركة الكوكاكولا أكدت عندئذ أن الإشاعة مختلقة وأعلنت أنها ليست إلا مكيدة من شركة البيبسى كولا وشركات المياه الغازية المحلية المنافسة؛ إلا أن الكثير من الناس عزفوا عن شرب كل ما هو أجنبى الأصل ما دام غير معروف التركيب .

من الإبرة إلى الصاروخ

تحت لافتة المساواة الاجتماعية والاشتراكية والماركسية والشيوعية ومكافحة النفوذ الأجنبى وغير ذلك من الشعارات الفضفاضة التى خلبت ألباب ضعاف الهمة وأغوت أصحاب المآرب المشبوهة شنت حكومات الدول النامية حملات التأميم ومصادرة الملكيات وأنشأت الجمعيات التعاونية التى تحتكر تمويل الشعوب بالطعام ومستلزمات الزراعة؛ ولم يعد من سبيل للرزق إلا الانضمام إلى القوات العاملة فى المصالح الحكومية أو فى معسكرات الجيوش المستعمرة؛ وبهذا استطاعت السلطات سواء كانت تمثل جهة أجنبية أو قومية السيطرة على أفئدة العامة من الناس وتكبيل أيديهم بالتحكم فى قدر ونوعية ما يدخل فى أفواههم ويصل إلى بطونهم من طعام وبالإملاء عليهم بالأسقف التى يعيشون تحتها والتسلط على كل بما يدور فى خلدهم من أفكار .

وبالطبع توقف الاستيراد والتصدير لأنه من الأعمال الحرة المحرمة إلا على حفنة قليلة من الخاصة ذوى الخزانات التى لا قعر لها والعيون الجاحظة التى لا يملؤها إلا التراب. وصارت التجارة الخارجية مقصورة على عمولات مقايضة سكر القصب بسكر البنجر والسماد

بالسماد وشراء سلاح يكدس فى المخازن تحت إشراف من يبيعه حتى لا يصوب تجاه عدو. وهكذا ثقلت جيوب القلة المسيطرة على السوق وأتخمت بطونهم وترهلت أردافهم. ولم يقصر الاقتصاديون فى واجبهم فخرجوا على الناس بنظريات تثنى على تلك السياسة الاقتصادية الفذة وتنوه بعبقريتها .

ولندرة الواردات وارتفاع أسعارها تعلقت قلوب الناس بكل ما هو أجنبى وأصبح مجال التفاخر بين الناس هو مقدرتهم على الحصول على البضائع المستوردة إذ كان هذا دليلاً على أن لهم نفوذاً ومنزلة خاصة عند السلطات الحاكمة. وتباهت الفتيات باقتناء ملابس وعطور مستوردة. وتخصصت بعض الشوارع فى بيع المنتجات الأجنبية الذى قيل أنها مهربة بأسعار باهظة. وأشربت قلوب الناس بكل ما هو أجنبى.

تحقيق الهدف الأعظم

بعد أن خربت المصانع والمزارع ولفظت المؤسسات التجارية الوطنية أنفاسها الأخيرة كان لا بد من استجلاب رءوس الأموال الأجنبية واللجوء إلى النفوذ الأجنبى حتى يحل محل المؤسسات الحكومية الفاشلة فى توظيف الناس. وهكذا انتشرت التوكيلات التجارية لبعض الشركات الأجنبية لاستغلال الأيدى العاملة الرخيصة. وأصبحت مصائر الناس فى قبضة شركات ومؤسسات أجنبية تعمل تحت غطاء قومى. وبالتالى ارتبطت تجارة المنتجات الأجنبية بالمصالح القومية.

والأنكى من هذا كله أن المنتجات المستوردة عن طريق التوكيلات أصبحت أشد رداءة من المنتجات المحلية وأبهظ ثمناً. بل إن المنتج الذى يباع فى الأسواق القومية لم يعد يضاهى فى المواصفات نظيره الذى يباع فى أمريكا أو أوروبا تحت الاسم نفسه لأن المنافسة انعدمت تماماً .

وبهذا تحققت الأهداف الحقيقية لحركات التأميم وانتشار الاشتراكية الزائفة وأصبح المواطن أسيراً لمؤسسات أجنبية تتحكم فى رزقه وتملى عليه إرادتها. كما أصبحت الشعوب مدمنة على المنتجات الأجنبية رغم رداءتها بعد أن لم يعد لها بديل من منتجات قومية أو محلية. واستسلم الناس للواقع المرير فأقبلوا بنهم على منتجات الطعام الأجنبية رغم ما قد يعلق بها من ملوثات وسميات تؤدى إلى عقم الرجال وإجهاض النساء. ولم يحجم الشباب عن ارتياد محلات الوجبات السريعة رغم أحداث التسمم المتوالية .

وعندما تشربت قلوب الشعوب بالمنتج الأجنبى؛ كما أشرب بنو إسرائيل العجل فى قلوبهم، أصبح من الصعب الاستغناء عنه لأنه يجرى فى عروقهم مجرى الدم. لهذا فليس غريباً أن يتلمس الأفراد الأعذار الواهية للعزوف عن تعاطى ما يهلك أبدانهم ويهدد بقاءهم .

أوجه المقاطعة

الذى يغيب على الأطراف التى تجادل فى جدوى المقاطعة والذى لا يدركه إلا القليل أن

نظام العولمة الجديد وضع عقبات جمة في طريق حملات مقاطعة منتجات أي دولة بعينها، بالصورة المعهودة قديما، إذ أصبح هناك طرق مشروعة في العرف الدولي لموارة مكان الإنتاج الأصلي. هذا لأن العالم غص بالمناطق الحرة التي تصدر إليها البضائع من كل مكان لإعادة تصديرها من جديد وحيث يمكن تغيير الإشارة التي تشير إلى مكان تصنيعها، فعادة ما تحمل البضائع جنسية المنطقة الحرة رغم أنها صنعت في مكان آخر. لهذا فإن مقاطعة المنتجات الإسرائيلية لن يوقف تدفق تلك المنتجات عن طريق منطقة حرة قد تكون في بلد عربية أو إسلامية.

كما أن الشركات الكبرى لم تعد ترتبط بدولة معينة بل أصبحت شركات عالمية حتى لو كانت في أصلها فرنسية أو إيطالية أو يابانية؛ أي أن منتجات شركة يابانية مثلاً لا يعني أن المنتجات ليست إسرائيلية.

لهذا فليس بمقدور من يرغب في المقاطعة من عامة الناس إلا التركيز على مقاطعة منتجات بعينها؛ أما مقاطعة دولة محددة فهذا لا يتسنى إلا بقرار حكومي. والمستهلك الواعي يستطيع التعرف على المنتجات التي تنتجها شركات تساهم في الحرب على دينه أو تدعم من يفتك به وبأهله. ومن يمن الله عليه بفضل المعرفة يعين الآخرين بأن يدلهم على البضائع التي يجب مقاطعتها. لهذا فإن العديد من الناس تطوع بنشر قوائم بالمنتجات التي يلزم مقاطعتها والبديل لها من بضائع إما قومية أو غير مشبوهة. ولعل أفضل سبل المقاطعة وأشدها وقعاً هي ما يقوم به الأمريكيون من مقاطعة بعض المنتجات التي لا تروق لهم.

مقاطعة
على الطراز الأمريكي

أعلنت شركة كوكاكولا قبيل منتصف مايو من العام الجاري أنها سترصد أرباحها لمدة أسبوع واحد تخصصها برمتها لدعم إسرائيل في حملتها ضد الإرهاب الفلسطيني. تلك الأرباح لم تقتصر على العائد الصافي من بيع شراب الكوكاكولا وحدها في منطقة بعينها بل شملت مبيعات كل منتجاتها من المياه الغازية مثل سبريت وفانتا وخلافه في جميع أنحاء العالم بما فيها الدول الإسلامية والعربية وفلسطين نفسها.

ظهر الإعلان فجأة دون مقدمات بحيث يخرس أي لسان قد يندد بتلك الخطوة المتحدية وحتى لا تتكتل فرق ممن لا يسوغ لهم القرار فيحرضوا آخرين على مقاطعة الشركة طوال ذلك الأسبوع؛ خاصة وأن القرار بدا غريباً. فالأمريكيون اعتادوا على قيام بعض الشركات بتخصيص نسبة من ربحها أو قدرا محدداً من ثمن سلعة لمكافحة مرض مستعص أو لمساعدة ضحايا كارثة أو وباء في الولايات المتحدة الأمريكية أو لدعم دورة رياضية عالمية؛ بهدف الترويج لسلعة معينة. أما أن تمتد يد العون خارج البلاد لمناصرة فريق ضد آخر فأمر أثار عجب الكثيرين وامتعاض كل

من يعى بما يجرى فى الشرق الأوسط من أحداث .

رغم فجاءة ما أعلنته شركة كوكاكولا فإن الكثير من الناس توقفوا تلقائيا ودون تدبير أو تخطيط أو جدل عن شراء منتجات الكوكاكولا ذلك الأسبوع برمته، بما فى ذلك بعض العاملين فى الشركة نفسها. كثير من الذين فعلوا ذلك كفوا أفواههم عن شرب ما تنتج الشركة بصفة شخصية دون عقد ندوات أو مناظرات أو القيام بعمل حسابات معقدة عن فاعلية مقاطعة منتجات الشركة. ومن لم يكتف بنفسه حض ذويه وأصدقاءه؛ دون القيام بعملية ترويج للمقاطعة أو المشاركة فى حملة واسعة النطاق لحض الناس عن الإمساك عن المياه الغازية لفترة طويلة أو وجيزة .

لم يهتم المشاركون فى المقاطعة بمدى تأثير فعلتهم على مبيعات الشركة أو أرباح أصحاب مصانع التعبئة المنتشرة فى كل مكان، أو حصيلة الولاية من ضرائب المبيعات، ولم يكن يعنيهم ما قد تلحقه المقاطعة من ضرر بالعاملين فيها. لم يكن يضير أحد منهم إن كان امتناعه عن شرب الكوكاكولا فى ذلك الأسبوع سيحد من أموال الدعم المتوقع رصدها لإسرائيل أم لا، بل كفاه أن ينام ليله مرتاح البال دون الشعور بإثم المساهمة فى حرب إبادة قوم عزل .

ولو أن الذين أقدموا على المقاطعة بجدية وحزم اجتمعوا لمناقشة مزايا ومغبات المقاطعة واستأجروا المحاسبين والخبراء الاقتصاديين والمستشارين السياسيين لدراسة الموضوع والإدلاء بآرائهم لمضى الأسبوع وانفض الجمع دون قرار سوى شجب الشركة وإصدار مجلدات عما جرى فى الدراسة المستفيضة .

سلاطة بلا خس

لا تكاد تخلو وجبة أمريكية من شرائح الخس، فطبق السلاطة الخضراء الذى كثيرا ما لا يتعدى قطعة خس يضاف إليها الزيوت والتوابل من مستلزمات المائدة فى الوجبات الرئيسية. وكثيرا ما يستخدم الخس كفرش لزركشة أطباق الأسماك واللحوم وكذلك كبطانة لسندوتشات الوجبات السريعة. والأمريكى عادة ما يهتم بالاكتمال الغذائى للوجبات حرصا على الصحة بطبيعة ما نشأ عليه من صغره؛ حيث يلزمه أهله بأكل الخضراوات إلى جانب اللحوم.

ومن سبل تحريض الطفل على ذلك هو الاستدامة على تذكيره بألا يتبطر على نعمة اختص هو بها وأن يأكل كل ما يقدم إليه فمعظم شعوب العالم جوعى لا يجدون حتى الخس. ولا سيما أن الخس كان من أرخص الخضراوات. هذا رغم أن الشعوب الجائعة كثيرا ما تعزف عن أكل الخضراوات الطازجة من بصل أخضر وكرات وجرجير وخس باعتبار أن ذلك من أكل الأرانب أو أنه من طعام الفلاحين. وكان من جراء إلحاح الآباء أن الشباب الصغير يحب أن يرى الخس كجزء من الوجبة حتى لو أشاح به جانباً وعزف عن تناوله .

في العقد السادس من القرن المنفلت خرجت وسائل الإعلام بتحقيقات صحفية على المعاملة غير الإنسانية التي يلقاها عمال التراحيل اللاتينيون الذين يعملون في جمع الخس في مزارع كاليفورنيا. وكان غالبية أولئك من المكسيكيين الذين تسربوا خلسة عبر الحدود وعملوا في الحقول بصورة غير مشروعة فكان من الطبيعي أن لا ينطبق عليهم قانون العمالة الأمريكي. كما أن المزارع حرص على أن يبخسهم حقهم سعياً وراء مكاسب باهظة لن يحققها لو أوفى كل أجير حقه .

عندئذ شن الشباب الواعي حملات صاخبة تحرض الناس على العزوف عن شراء خس ولاية كاليفورنيا البلدي واستبداله بأنواع أخرى من الخس المرتفع الثمن. ولم تقتصر الحملة على تظاهرات دعم العمال بل اشتملت على توزيع المنشورات وحمل لافتات الدعوة إلى المقاطعة عند محلات الأغذية. ونجحت الحملة بأن تكونت نقابة لعمال التراحيل تطالب بحقوق المغبونين من العاملين في حقول الزراعة سواء كانوا يعملون بصفة شرعية أو غير شرعية .

لحم البقر

كان الشعب الأمريكي يستهلك كميات هائلة من القهوة وهي المشروب القومي ولحوم البقر التي تدخل في الهامبرجر، الأكلة الشعبية السائدة بين الفقراء وصغار السن.

ومما يربو على ثلاث عقود مضت أصابت وسط غرب الولايات المتحدة الأمريكية موجة حر قاتلة مما أدى إلى موت عدد هائل من رءوس البقر. والبقر يربى في هذه المناطق في زرائب مزدحمة حيث يغذى بالذرة ويمنع عن الحركة حتى يزيد وزنه ويختلط الشحم باللحم. وكان من جراء نقص الإنتاج في ذلك الموسم أن قررت شركات ذبح وتوزيع اللحوم رفع سعر لحم البقر في السوق الاستهلاكية بصورة خيالية رغم أن مربي البقر لم يرفع سعر توريد الماشية لتلك الشركات وتكبد خسائر هائلة .

المستهلك الأمريكي يعي جيدا خلال تجارب سابقة أن سعر أي سلعة إذا زاد بسبب طارئ فلن ينخفض عندما يعود الحال إلى ما كان عليه. ولقد حدث ذلك من قبل عندما تضاعف سعر القهوة بسبب تدهور مفاجئ في إنتاج المحصول في كولومبيا. واستمرت الأسعار مرتفعة حتى بعد أن تضاعف الإنتاج في العام اللاحق. لهذا نظمت ربات البيوت حملة مقاطعة للحم البقر بمجرد إعلان ارتفاع الأسعار. ولم تقتصر الحملة على التظاهر أمام محلات بيع الغذاء بل تسابقت السيدات في عمل وصفات بديلة تغني ربة البيت عن لحم البقر تماماً. فاضطرت شركات التوزيع إلى إعادة سعر اللحوم إلى ما كان عليه بعد أسبوعين من المقاطعة رغم ما تكبدته من خسائر فادحة. وقد أدت المقاطعة في فترة وجيزة إلى إغلاق أبواب بعض المذابح وتسريح العاملين فيها وتدهورت أسعار أسهم شركات

اللحوم في السوق المالية وانخفضت مبيعات محلات الوجبات السريعة التي تخصصت في الهامبرجر .

وعلى الرغم من أن حملة المقاطعة لم تتجاوز أياما قليلة إلا أنها أحدثت تغييرا جذريا في استهلاك لحوم البقر على المدى الطويل إذ اعتادت ربات البيوت على الحد من استخدام اللحوم في إعداد الوجبات وظهرت منتجات جديدة تضاف إلى اللحوم للتقليل من استهلاكها ؛ وشرعت محلات الهامبرجر في تقديم سندوتشات الدجاج المفروم .

ضياع الحق في زحمة الجدل

أما الجدل الجاري في الدول العربية والإسلامية حول مقاطعة البضائع الإسرائيلية وبضائع الولايات المتحدة الأمريكية فيصطبغ بالسفسطة والمحاورة والمداورة. والجدل ليس إلا عرضاً من أعراض وباء فيروسي يسبب اضطرابات عصبية وهلوسة فيستهلك البدن ويرهق النفس فيقعد المريض عن تعاطي العلاج والمداواة والسعي للشفاء. وقد تمخض الفيروس في معامل صهيون منذ إنشاء إسرائيل كدولة، وانتشر مع موجة العولمة الجارفة التي لم تبق ولا تذر. فما من قضية كبرت أو صغرت إلا كانت مثاراً لجدل طويل المدى بين فرق متطاحنة لا ترسى على بر. وفي دوامة الجدل يختلط الحق بالباطل وتتقاعس الأطراف المتجادلة عن الإقدام على أي عمل .

قال النبي ﷺ أنه :

"ما ضل قوم عن الحق إلا أوتوا الجدل" .

أما الحيرة التي تملكت عامة الناس فقد تولدت من تراكمات حملات بعيدة المدى لترويض الشعوب المغلوبة على أمرها باقترا: سياسات اقتصادية متخبطة خلال ما ينيف على نصف قرن. والتيه الذي يدور الناس في دهاليزه دون الوصول إلى هدف أو اتخاذ قرار حاسم حتى على المستوى الفردي قد رسمت معالمه وسائل الإعلام التي تعمل من الحبة قبة.

الثقافة العسكرية

الحوار بين أصحاب وجهات النظر المختلفة والدراسة النقدية للأمور الهامة وتحليل الأحداث ورسم الاستراتيجيات باستخدام الخبرات المتاحة لا يدخل في عداد الجدل الذي يقوم على صراعات شخصية والذي يغذي النزاعات القائمة على مصالح الفئات؛ بل إنه هو السبيل لاتخاذ القرارات المستنيرة وسلك السبل الحميدة .

بهذا فلا ضير أن تتضارب الآراء ولا يلزم أن تتحد الكلمة حتى يتوحد الصف. الوحدة العربية أو الوحدة الإسلامية لا تعني فردية القرار ووحدانية الرؤية للأمور والمشي في الركاب تحت غطاء كبير يستخدم في التمويه ليخفي عن عيان الآخرين ما يكمن تحته من اختلافات وتباين. والذين يتصورون أن هذا النوع من الوحدة من مسوغات القوة إنما

يستهدفون طموحات الأمة ويعملون على تعجيز أبنائها عن النهضة. كما أن هذا الاتجاه ناجم عن التأثر بطبيعة الأحكام العسكرية التى توالت على بلادهم؛ والتى ترى أن الانفراد بالقرار من لوازم المعركة وأن العلاقة بين الحاكم والمحكوم هى علاقة المتبوع ذى المقوا المعصومة عن الخطأ والتابع الذى ينفذ دون أن يسأل ولا يبصر فى أى درب يسير .

الوحدة المطلوبة هى وحدة الهدف والتضامن فى تحقيقه لا الوحدة العينية التى يصطف الناس فيها فى طابور واحد بينما لا يجمع بينهم غير الخوف من تطاول منظم الصفوف عليهم. ووحدة الصف الحقيقية تشابه تسوية الصفوف فى الصلاة حيث يصطف المصلون كأنهم بنيان مرصوص ليس بينهم فجوات لئلا ينزغ الشيطان بينهم، يصلون المناكب بالمناكب، والأقدام بالأقدام. إلا أن هذا لا يمنع وقوف الطويل إلى جانب القصير والسمين إلى جانب النحيف والقوى إلى جانب الضعيف، ولا تمنع تسوية الصف أن يتراص المصلون فى صفوف عديدة الواحد خلف الآخر، ولا يستدعى تراص الصف تزامن ما ينطق به المصلى سراً مع ما ينطق به باقى المصلين ولا تجانس الدعوات والتسبيحات ولا درجات الخشوع .

ولنضرب مثلاً قضية المقاطعة المطروحة حالياً. إذا طالب البعض أن يصدر عن الحكومات قرار موحد بحيثيات واحدة فإن فى ذلك إجحاف لحقوق الدول فى الاستقلالية فى قراراتها؛ وإذا انتظر البعض أن تتوحد طوائف الأمة فى عمل متواقت ومحدد للمقاطعة فإن الانتظار سيطول. أما إذا رفضت الأفراد والهيئات والحكومات والمؤسسات بفعلهم ولسانهم وقلوبهم أن يكونوا حطباً لإشعال جذوة وقود الحرب على الإسلام أو أن يكونوا أداة لدعم الإرهاب الصهيونى أو مصدراً لتمويل ماكينة الحرب لطعن المسلمين فى ديارهم كان فى ذلك وحدة للصف. بعد ذلك فلكل فرد على ثغرة من الثغرات أن يفعل ما يراه ملائما ويقوم بما يرضى ضميره وما يمليه عليه إيمانه من خطوات لتحقيق ما تعاهد عليه أمام الله .

والتجربة تشهد على صحة هذا النهج ففى الماضى كانت هناك قائمة سوداء لها مجلس أعلى للإشراف على مقاطعة إسرائيل وما زال المجلس قائماً. وتوحد العرب على مقاطعة منتجات إسرائيل؛ أى منع كل ما كتب عليه "صنع فى إسرائيل"، وعدم التعامل مع الشركات التى تعمل فى إسرائيل. رغم ذلك كانت المنتجات الإسرائيلية التى تحمل نجمة داود تباع فى صعيد مصر فى العقد الخامس من القرن الماضى استغلالا لجهل المشترى الذى لا يفرق بين نجمة داود وغيرها من الإشارات المطبوعة على البضائع. وفى نفس الوقت كانت تتسرب أقلام الحبر الجافة الرخيصة المصنوعة فى إسرائيل بكميات هائلة إلى الأسواق المصرية عن طريق غزة. وما خفى كان أعظم .

أكل عيش

من أبرز الحجج التى يطرحها المعارضون لمقاطعة المنتجات الإسرائيلية والمنتجات التى يستخدم جزء من ريعها لدعم إسرائيل هو أن فعل ذلك سيقطع عيش أصحاب التوكيلات من رجال الأعمال وسيقفل باب الرزق أمام عدد كبير من المواطنين الذين يعملون فى المؤسسات التى تروج تلك المنتجات. وهذه حقيقة لا ينكرها أحد. غير أن البلاد التى عانت طويلاً من الاستعمار الأجنبى تذكر أن قوات الاحتلال كانت توفر للمواطنين العمالة فى معسكرات جيوشها، بل إن توريد العمال والمستلزمات الغذائية لجيوش الاحتلال خلال الحرب العالمية الثانية خلق طبقة جديدة كانت تدعى بأغنياء الحرب.

ولا شك أن العديد من الخلق فقدوا مورد رزقهم عندما رحلت جيوش الاحتلال، إلا أن أولئك خجلوا آنذاك من أن يعلنوا عن رغبتهم فى بقاء المحتل حتى لا ينقطع عيشهم. كما أن الآلاف من الأيدى العاملة التى خدمت جنود الاحتلال وجدت من مصادر الرزق ما هو أكرم وأطيب لهم؛ ففى مصر مثلاً تحول عمال السخرة الذين استوردهم موردو العمالة لمعسكرات البريطانيين إلى قوة عمالة جديدة كانت شحيحة الوجود، تشيد المبانى وتعمر المدن؛ وأغناهم الله عن توطيد دعائم احتلال يتآمر عليهم وعلى ذريتهم.

قال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ ... (الأنعام: ١٥١)

وقال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبير﴾ .... (الإسراء: ٣١)

ولا شك أن عدم وضوح الرؤية والظن بأن التهافت على الفتات الذى يلقيه العدو للمغلوبين على أمرهم ويمتن عليهم بأنه يرزقهم يعين العدو على الطغيان والإمعان فى قتل أولادهم إذا ما جاء اليوم وثاروا على مغتصب أرضهم وأرض آبائهم.

والذى نسى الماضى البعيد لا يستطيع أن يغفل عما كان يجرى فى الواقع حتى عهد قريب عندما كان مصدر الرزق الوحيد لبعض الفلسطينيين هو العمل فى بناء المستوطنات على أرضهم أو العمل فى المصانع الإسرائيلية؛ لهذا قام بعض الساسة بالتباكى على ما يعانيه الفلسطينيون من جوع وعرى بعد أن تسببت الانتفاضة فى قطع سبل رزقهم فى إسرائيل التى استبدلتهم بعمال آخرين. ولم يذكر أحد أن سبب انعدام فرص العمل فى فلسطين كانت نتيجة توجيه استثمارات تنمية الاقتصاد الفلسطينى إلى الإنفاق على بناء أكبر صالة قمار فى الشرق الأوسط بالمشاركة مع ابن شارون، وعلى العديد من المشاريع الخائبة.

ومن المخزى أن أحد أثرياء النكبة من الذين بنوا ثروة طائلة رست عليه عدة عطاءات بناء وإنشاء للمستوطنات حاز عليها من عدو أمته واستنزف فى تنفيذها عرق المستضعفين فى الأرض من أمته وكان دفاعه عندما تكشفت

الفضيحة الاحتجاج الفاجر على منتقديه قائلا: "هل لأنى فلسطينى يجب أن أعيش فى عشش وألبس الأسمال البالية؛ ما الجرم فى أن يصبح فلسطينى من أصحاب الملايين؟" وبالطبع ليس هناك جريمة يعاقب عليها قانون وضعى فى أن ينمى شخص ثروته من أى عمل لا يحرمه القانون مثل تقديم الخدمات لعدو بلاده. بل إن هناك سبلاً عديدة للإثراء السريع قد يسمح بها قانون بعض البلاد مثل فتح بيوت الدعارة .

انتعاش بلد ميت

تحولت مدينة صحراوية صغيرة فى غرب الولايات المتحدة الأمريكية إلى مدينة أشباح بعد ازدهار سنين طويلة تدافع فيها قناصو الفرص إليها بحثا عن خام الفضة حتى إذا ما استنفذوا ما فى مناجمها رحلوا عنها وتركوها خراباً كأنها لم تعمر بالأمس. ولما كانت المدينة على مرمى حجر من عواصم القمار تفتقت قريحة بعض الساسة المحليين بمعاونة أحد المستثمرين عن فكرة لإنعاش البلد الميت؛ فأصدرت الحكومة المحلية قانونا للتصريح بتجارة الدعارة الممنوعة فى سائر الدولة. وبمجرد الحصول على الترخيص قام المستثمر ببناء مستعمرة كبيرة تشمل مئات من الكبائن، وبكراء الأجساد اللازمة للبيع، وشراء ما يستلزم التجارة من وسائل الترفيه والخمور. وراجت التجارة وانتعشت أحوال البلد الاقتصادية وعاد على الولاية والمدينة ريع ضخم من ضرائب المبيعات التى استخدمت فى التوسع والتعمير .

مع مرور الأيام تسارع عدد غفير من العصابات الإجرامية والشخصيات المشبوهة للاستفادة من الفرصة الجديدة التى أتاحتها إدارة المدينة، وكما هو متوقع عجت البلد الصغير بتجار المخدرات، وغصت الشوارع بالعاهرات غير المرخص لهن ، ولم تعد البلد آمنة، فكان على إدارة المدينة مضاعفة رجال الأمن ، لكن ذلك لم يجد فى الحد من موجة الإجرام التى اجتاحتها. وسرعان ما وجدت حكومة المدينة أنها تنفق من الأموال على حراسة المغامرة الاقتصادية الجديدة فوق ما تجمعه منها من ضرائب. وبدأ رواد مستعمرة الملذات الجسدية فى التناقص، ولم يجد الساسة بدا من إعادة تحريم الدعارة، ففر المستثمر بما جمع من أموال لاجئاً إلى البرازيل دون أن يدفع مستحقات الناس أو الضرائب وأفلست المدينة وهجرها من عمروها مخلفين وراءهم ديوناً طائلة .

قال تعالى: ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ ...... (البقرة : ٢٦٨)

وقال النبى ﷺ : "يا معاشر الناس اتقوا الزنى فإن فيه ست خصال ثلاثا فى الدنيا وثلاثا فى الآخرة فأما اللواتى الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللواتى فى الآخرة فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود فى النار".

د . عبد الفتاح الحسينى
الولايات المتحدة الأمريكية

العمليات الاستشهادية هل هى "موت عبثى" من أجل "حياة أفضل" ؟..

خالد مشعل

د . رمضان عبد الله

يجد معظم الأوروبيين والأميركيين صعوبة فى فهم الأسباب التى تدفع شاباً فلسطينياً إلى تفجير نفسه وسط مطعم أو مقهى أو سوبر ماركت فى إسرائيل .. فالقضية بالنسبة إلى هؤلاء مختصرة : مسلم إرهابى يفجر نفسه وسط يهود أبرياء أو مدنيين إسرائيليين .. ولا شك فى أن هذه الصورة تأتى فى سياق التصور العام السائد لدى الرأى العام الأميركى والأوروبى من أن إسرائيل جزيرة إنسانية وديمقراطية تؤمن بالقيم الغربية، وسط غابة من المتطرفين والإرهابيين غير المؤمنين بأى من المعايير الإنسانية والديمقراطية ، وهو تصور ترسخ نتيجة جهود إسرائيلية وتعاضد جماعات الضغط اليهودية وتمرير عدد من القوانين فى البرلمانات والمؤسسات المدنية للمحافظة على إحساس الأوروبيين بالذنب والأميركيين بالتعاطف بعد الجرائم التى ارتكبها النازيون فى الحرب العالمية الثانية ..

تعـززت صـورة الانتـحـارى الإرهابى بعـد أحداث ١١ سبتمبر الماضى، إذ جندت إسرائيل خبراء فى العلاقات العامة للربط بين الحرب على الإرهاب التى تخوضـهـا واشنطن فى العالم بعد أفغانستان وتفكيك البنية التحتية للإرهاب فى الأراضى الفلسطينيـة .. وكـان ذلك من أوائل ملامح التغيير الكبير الذى حـصـل فى العـالم .. ولم تكن المقـاومـة الفلسطينية قادرة على استيعاب إسقاطات التـغـيـير الكونى على الوضع الفلسطينى .. صحيح أن الدول العربية تمسكت بالتمييز بين الإرهاب والمقـاومـة وبين مـقـاتلى الحـرية والإرهابيين، لكن ذلك لم يجد آذاناً صاغية لدى الرأى العـام الغـربى لأنـه لم يتـرافق مع حملة علاقات عامة كبيرة من جهة ولأن ميزان القـوى الدولى والإقليـمى لا يمـيل لمصلحـة الجـانب الفلسطينى من جـهـة، ولأن الجـانب العربى لايزال طارئا على مسار العمل الدعائى والديبلوماسية العـامة ويتـعامل مـعـهـا وقت الأزمـات فـقط من دون جـهـاز منظم ومكثف برؤية طويلة الأجل من جهة ثالثة .. ولم يبذل جهداً كافياً رسمياً من قبل قادة الدول العربية ولا شعبياً أو تنظيمياً من قبل قادة حركات المقاومة لاعتقادهم أن ما نقوم به مبرر وشرعى حسب القوانين الدولية .. لكن ما يبدو بدهيا فى الشرق الأوسط لا يبدو كذلك فى لندن أو واشنطن أو طوكيو .. بل وعندما يحاول قادة المنظمات المقاومة شرح مواقفهم يلجئون إلى شعـارات عـامـة ومـفـاهيم نظرية لا تجد لهـا مكاناً فى العقل الغربى الذى اعتـاد ٥٠ سنة من الخطاب المنطقى القـادم من الجـانب الإسرائيلى .. على هذا الأساس حاولت الحياة فهم تصور زعيمى حركة المقاومة الإسلامية (حماس) خالد مشعل والجهاد الإسلامى رمضان عبدالله لآلية العمل الاستشهادى - الانتـحـارى وكيفية تقديم ذلك الى شخص يعيش حياة مرتاحة فى اوروبا او اميركا.

فى فـبـراير ٢٠٠١ شرح زعـيم حـزب الله السيد حسن نصرالله لمراسل صحيفة اندبندنت البريطانية فى الشرق الأوسط روبرت فيسك: تخيل أنك فى حمام سونا. الجو حار للغاية، لكنك تعلم أنك ستجد فى الغرفة التاليـة مكيف هواء وكـرسـيـاً مـريحـاً ومـوسـيـقى كلاسيكية وكوكتيل .. هكذا تنتقل بسهولة إلى الغرفة الثانيـة .. أى ما على الانتحارى سوى فتح الباب للانتقال من غرفة إلى أخرى، من الحيـاة إلى الموت، أو من حيـاة إلى حيـاة أخرى، كمـا يفـهمـهـا الاستـشـهادى .. بعد أحداث ١١ سبتمبر أصبح هذا الشرح فى حاجة إلى تفسيرات أكبر لأن هذا الانتقال من غرفة سـونا إلى الغـرفـة المكيـفـة صـار إرهاباً فى المفـهـوم الدولى، بل لم يعـد ممكناً الانتـقـال اللوجسـتى من مطار إلى آخر من دون المرور عبر الكثير من بوابات التفتيش خصوصا إذا كانت ملامحك شرق أوسطية بعد استخدام ١٩ انتحارياً طائرات مدنية بمن فيها ككتلة نارية.

فما بالك بالانتقال الانتحارى .. لدى مجمل الرأى العام الغربى صارت الصورة ضبابية .. إذ من الصعب للجالس فى نيويورك وواشنطن أن يرى الفارق بين ما تعرض له مركز التجارة الدولى ومبنى وزارة الدفاع وما قام به شاب فى مطعم بيتزا أو مرقص أو سوبر ماركت فى تل أبيب أو نتانيا .. إن طريقة عيش الضحية (!) الإسرائيلية أقرب إلى نمط حياته، وفى اعتقاده أن من يحصل هو : شخص همجى وإسلامى متطرف يرتدى عمامة سوداء وبلحية كثة طويلة يريد قتل الناس لمجرد القتل انتقاماً للفارق الحضارى مع الآخر- الإسرائيلى .. وساهمت وسائل الإعلام الغربية فى تكريس ذلك، بل إن الـ٦٠ فدائيا وفدائية الذين استشهدوا منذ اندلاع الانتفاضة، غالبا ما كانت وسائل الإعلام الأميركية والبريطانية تنشر صورهم التقليدية : ملتحون، يلفون جبينهم بعلم الإسلام، يقرءون فى القرآن الكريم، يقبلونه، أو أنهم يرتدون أكفانا بيضاء .. وعندما يأتى خبر الاستشهاد فإنه يتم التركيز فى الغرب على فرح أهله وزغاريدهم ورقصهم وإطلاقهم النار فى الهواء. بل إن الصورة الوحيدة التى انتشرت فى هيرالد تريبيون للفدائية آيات الاخرس لم تكن سوى صورتها وهى مرتدية الحجاب الإسلامى مع أن صوراً أخرى لها كطالبة من دون حجاب نُشرت فى وسائل إعلام أخرى .. أما سبب الانتحار، فتختصره باربرا آمل فى مقال نقلته هيرالد تريبيون فى ٢٦ مايو الماضى عن ديلى تلغراف البريطانية، إذ كتبت: بعض الثقافات الآسيوية القديمة يعتقد أن الذى تقتله سيكون خادمك فى العالم الآخر. إن هذا الحافز جيد ويوازى الـ٧٢ فتاة عذراء الموجودة فى جنة الفردوس للذى ينفذ عملية انتحارية فى فلسطين .. كيف يرد خالد مشعل على ذلك ؟.. يقول زعيم حماس لـ الحياة :

خالد مشعل

هذا كلام ساذج .. إن تفكير الاستشهادى - الانتحارى ليس جنسيا .. لو كان هدفه ٧٠ عذراء لكان فعل ذلك فى الدنيا، ولا حاجة له كى يموت ليصل إلى ذلك .. فعلا إن اختصار الموضوع إلى الجانب الجنسى هو تبسيط القضية ويأتى فى سياق التصور العام عن المسلم والأصولى .. وربما يعكس رغبة فى عدم السعى إلى فهم الأسباب الفعلية كى يصل شاب ما إلى أن يقرر الاستغناء عن الحياة .. ويوضح مشعل أن أحد الأسباب الأساسية غير الدينية هو الشعور أن الحياة التى يعيشها بما فيها من مهانة وإذلال وفقدان للحقوق تستوى مع الموت ..

ويضيف : تصور أن أحد إخوتك قُتل، والآخر أعتقل، وأختك ولدت على حاجز، وأختك الأخرى أجبرت على خلع ملابسها لتصبح عارية، وابنك لا يشرب الماء ولا الحليب ولا يذهب إلى اللعب أو المدرسة، وأرضك صودرت كلها أو جزءاً منها، وأبوك لا

يستطيع العمل، ومنزلك هُدم، وجدك كان طُرد من يافا وجاء بدلا منه مهاجر روسي، وأنت ترى وتشاهد وتقرأ وتعرف من المسئول عن ذلك ؟.. : إنه الإسرائيلى .. ماذا تفعل ؟..

ساد الصمت فى المكتب الواقع فى مخيم اليرموك فى جنوب دمشق . نظر خالد مشعل إلى جدران الغرفة .. إلى صور الشهداء المنتشرة فى المكتب التى تُحاط غالبا بصور للقدس أو لفلسطين، أى بأهداف ملموسة وليس بصورة لجنة الفردوس كما هى الحال لشهداء حزب الله ، إلى أن وقعت عينه على صورة كبيرة للمسجد الأقصى .. وزاد :

تصور أنك متدين إسلامى ولا تستطيع الوصول إلى المسجد للصلاة كل يوم جمعة .. وتصور أن أحد مساجدنا تحول إلى تواليت .. ماذا تفعل ؟.. واستطرد فى الشرح : تصور أنك تعرف أن أهالى مخيم جنين الذين تعرضوا لجرائم ضد الإنسانية طردهم الإسرائيليون من أراضيهم لعام ١٩٤٨ ماذا تفعل ؟.. لا شك فى أن العمل الانتحارى ينطوى فى أحد جوانبه على الثأر والانتقام من الجرائم الإسرائيلية لأن المعركة ليست بين جيشين تضم عسكريين ومدنيين وتكافئاً فى القوى .. إذ إن الفلسطينيين لا يملكون طائرات اف ١٦ ولا آباتشى ودبابات ميركافا ليواجهوا الإسرائيليين، لكن ما يملكون هو الاستعداد للتضحية .. ليس الموت لأجل الموت، بل التضحية بالنفس لأجل حياة أفضل عبر تكريس مفهوم الشهادة على أنه الانتقال من الحياة إلى الجنة من جهة، وأفضل للأقارب والمجتمع فى شكل عام إذ ترتفع درجة أهل الفدائى فى أوساطه من جهة ثانية .. كما أن العمل الاستشهادى يحمل فى جوانبه الأخرى تهديد أبرز بعدين للدولة الإسرائيلية : الأمن والاستقرار الاقتصادى اللذين يشكلان أحد الأسباب الأساسية لقدوم المهاجرين اليهود إلى إسرائيل .. على هذا الأساس من ازدواجية الظلم والاستعداد للتضحية يأتى الخطاب الدينى الإسلامى ليؤسس حلولاً ورؤية للمقاومة ضد الاحتلال والخلاص .. وبين هؤلاء زعيم الجهاد الإسلامى الدكتور رمضان عبدالله الذى نال الدكتوراه من جامعة درام البريطانية ودرس خمس سنوات فى جامعة تامبا فى ولاية فلوريدا الأميركية.

د . رمضان عبد الله

سألت الدكتور رمضان عبد الله :

هل لك أن تشرح كيف يمكن لشاب أن يقتل نفسه أولاً ويقتل الآخر ثانياً ؟.. ،

فأجاب : قرار قتل النفس يعود للشخص نفسه .. إن هذا الشخص هو الأقدر على تقييم قيمة نفسه فى مقابل القضية أو العقيدة التى يؤمن بها.. أى : عش حراً أو مت .. وهذا بالضبط ما نفعله .. إننا نريد الحرية من الاحتلال الإسرائيلى .. لكن ماذا عن الآخر ؟..

صمت .. ونظر من نافذة مكتبه فى أحد

المخيمات الفلسطينية جنوب دمشق حيث تقع إسرائيل .. وقال :

من هو الآخر؟.. هل هو برىء أم ظالم ؟.. إن الآخر بالنسبة لنا هو: الإسرائيلى المحتل والمعتدى علينا وعلى أهلنا .. هل هو مدنى أم عسكرى ؟..

نقول : كل المجتمع الإسرائيلى ثكنة عسكرية. الشباب كلهم تحت الاحتياط. والمستوطنون جاءوا من الخارج وأقاموا مستوطناتهم على أنقاض قرانا، وهم مسلحون .. إننا فقط نستثنى الأطفال لأنهم لا يملكون الخيار والقرار .. مشكلتنا ليست معهم لأنهم يهود بل لأنهم اغتصبوا أرضنا .. من الصعب تفهم فكرة التضحية فى مجتمع متوازن فى أميركا وأوروبا، لكن عندما يتعرض المجتمع بأكمله إلى الظلم وسد منافذ الحياة وإغلاق أبواب الأمل يفقد المجتمع بأسره التوازن والحاكمة العقلية للأشياء ويذهب إلى الاستشهاد ..

وإذا كان الاحتلال الإسرائيلى لنحو أربعة ملايين فلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة عرضهم للظلم الكبير والمهانة والفقر، فإن أخطر ما يفعله رئيس الوزراء الإسرائيلى آريل شارون هو أنه يساوى الحياة بالموت ويدفع الناس بما فى ذلك المراهقون إلى الاستشهاد .. إذ تبين فى الأسابيع الأخيرة عندما أخذت حماس والجهاد الأكثر تقديما للشهداء بالتحذير من انتشار ظاهرة خطرة وهى إقبال الصغار على الاستشهاد .. أما البعد الدينى للتضحية، فيقول د . رمضان عبد الله :

إن الشهيد فى العقيدة الإسلامية هو الاستثناء الوحيد الذى لا يموت عندما يموت بل ينتقل من حياة إلى أخرى .. ويضيف مشعل : هناك بعدان دينيان .. الأول، أن الاستشهادى أقل من غيره فى الانغماس بمتاع الدنيا لذلك فإن استعداده للتضحية أكبر .. الثانى، تعلقه باليوم الآخر. إذ أن موته ليس نهاية لحياته بل استمراراً لها .. عليه، فإن مشعل يعتقد أن الإسلاميين هم الذين فتحوا طريق الاستشهاد فحذا حذوهم الآخرون فى حركة فتح والقوى اليسارية الأخرى ، فمستوى الجرائم الإسرائيلية وإغلاق أبواب الأمل أمام الفلسطينيين زادا من إقبال الناس على العمل الفدائى .. وأقسم رئيس المكتب السياسى لـ حماس إن كتائب عزالدين القسام لم تعد بعد عدوان شارون الأخير قادرة على استيعاب حجم الإقبال عليها.. وقال : إنه إقبال هائل .. هناك الآلاف الذين يريدون الشهادة .. فالعمليات الاستشهادية ليست جهاداً ضد الكفار وليست موتاً عبثياً كما تصورها وسائل الإعلام الغربية، بل إنها تضحية من أجل إزالة الاحتلال الإسرائيلى لأراضى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلة عام ١٩٦٧ وعندما ينتهى الاحتلال ويتحقق السلام لن يضطر الشاب الفلسطينى للانتحار وقتل نفسه والآخر .

السودان

بعد اتفاق الحكومة السودانية فى كينيا مع حركة التمرد حول أفكار لحل مشكلة الجنوب تتضمن احتمال انفصال جنوب السودان تحت مسمى حق تقرير المصير اندلعت الهجمات فى الصحف القومية من شتى الجوانب تتهم الحكومة السودانية بأنها لم تفرط فحسب فى وحدة السودان بل إنها كذلك عرضت الأمن القومى المصرى للخطر بفتح الباب لسيطرة قوى معادية على منطقة روافد النيل ، وبعدم استشارة الحكم قبل المضى فى المبادرة .

والواقع أن قضية السودان برمتها وعلى مدى العشرين عاما الماضية بحاجة إلى تحليل عام يتجاوز مجرد التعليق العابر على الاتفاق الأخير .. ذلك لأن السياسة المصرية الرسمية على مدى تلك الفترة ظلت محكومة بهاجس واحد فقط أو بمبدأ وحيد لا ثانى له وهذا الهاجس هو رفض وكراهة أى تيار أو قوة سياسية أو اجتماعية أو حتى فكرية سواء فى الحكم أو خارجه فى السودان ترفع شعار الإسلام بأى شكل .. هذا هو الهاجس الاساسى والوحيد الذى حكم السياسة المصرية فى السودان والذى حكم كل التحركات السياسية الجزئية والمواقف المعلنة والمبادرات والتحليلات ... إلخ .

وهذا هو فى نفس الوقت الخطأ الأكبر والقاتل

د. محمد يحيى

لأنه في دنيا السياسة لا يجب أن يحكم هاجس واحد (وهو هاجس أمني علماني) الموقف مع بلد ضخم وتربطه بمصر روابط عضوية متعددة مثل السودان .. وهذا الخطأ الأكبر أدى إلى كوارث وأخطاء أخرى .. فمن الناحية الأخطر وصلت إلى كل الدول والتيارات الطامعة في السودان (الغرب والتبشير والصهيونية والاحتكارات البترولية) رسالة تقول أن البعض قد حددوا موقفهم ضد السودان على أساس أنهم ضد أي اتجاه أو فكر إسلامي ، وأنهم لن يتدخلوا بأي شكل لمساعدة أي حكم يرفع شعارات الإسلام أو حتى يسمح لتيارات إسلامية بالعمل والنشاط في السودان .

وهذه الرسالة الخطيرة كانت كافية لكي ترتب هذه القوى الطامعة أمورها وسياستها على أساس أنهم أحرار يتصرفون فيه كما يريدون ، وأن الحكم في الشمال لن يتلقى أي مساعدة من الشقيقة الكبرى بل سيجد العداء على اساس أنه متطرف وإرهابي .. وهكذا وصلنا إلى مرحلة الاستفراد الغربي والكنسي بالحكم الشرعي في السودان الذي أوصل إلى نتيجة الاتفاق الخطير الذي هوجم من القوى السياسية المصرية الرسمية رغم أنه النتاج الطبيعي والحتمي للموقف الرسمي الذي ظل على مدى العشرين عاما يقوم على الهاجس المعادي للإسلام في شكل وحيد له .

الهاجس الحاكم للسياسة الرسمية ضد السودان تجلى في مواقف متعددة بدءاً في الموقف من إعلان النميري عن تطبيق الشريعة وحتى الموقف من حكومة الإنقاذ مروراً بالموقف من حكم سوار الذهب والجبهة القومية الإسلامية وحسن الترابي والإخوان المسلمين السودانيين وغيرهم ، وفي جميع هذه الحالات وفي غيرها كانت الخطيئة الكبرى التي ارتكبت والتي لا معنى لها هي اختزال التيارات والقوى والفصائل والأفكار الإسلامية في السودان على تنوعها وثرائها وأصالتها وعمقها على أنها مجرد نسخة أخرى فقط لما يسمى في مصر عادة بالجماعات المتطرفة أو الإرهابية .. وهذا الاختزال خاطئ مائة في المائة وينكر أن الإسلام وتياراته وحركاته هي أصيلة في السودان وهي ثرية ومتنوعة ولا يمكن بأي حال أن يكون مجرد نسخة باهتة في عشرات من الأشخاص يسمونهم هنا بالتطرف والإرهاب .. هذا الاختزال كان يمثل نوعاً من العمى السياسي والضحك على النفس قبل أن يكون ضحكاً على الآخرين ، وقد أثار ردود فعل متوقعة في السودان حيث

صعب على القوى هناك أن تفهم أن ينظر لها البعض على أنهم مجرد حفنة من المجانين مثل جماعات الشوقيين والفرشوطيين وأبو رجل مسلوخة الذين تحدثت عنهم الصحف فى مصر ، وزاد ذلك من تعقيد وتوتر الأوضاع لاسيما وقد تحول هذا الاختزال لأن يكون المبدأ الحاكم فى السياسة المصرية والذى تقام على أساسه كل المواقف فى السودان حكومة وحتى شعباً ... ومع هذه الخطيئة المتمثلة فى الاختزال الخاطئ جاءت خطيئة أخرى أو هاجس آخر أو مبدأ آخر حكم السياسة الرسمية تجاه السودان ألا وهو تصور أن كل القوى والتيارات والأفكار الإسلامية فى السودان ليست سوى قوى انتهازية رخيصة ترفع شعارات كاذبة لأهداف غير شرعية .. وكان هذا ولايزال يعنى حكماً غريبا بأبطال القوى الرئيسية الفاعلة على الساحة السودانية ومنها قوى تتعاطى معها القاهرة الرسمية وتستمد شرعيتها من الإسلام بشكل أو بآخر مثل "الحزب الاتحادى الديموقراطى" وحتى "حزب الأمة" .

والأغرب والأكثر شذوذاً هو أن هذا المنطق الذى طبق على الإسلام لم يطبق على القوى الجنوبية التى طرحت الأفكار والمرجعيات المسيحية كهوية لها .. وعندما نظر البعض فى القاهرة إلى القوى السودانية الإسلامية الجديدة على أنها مجرد تيارات انتهازية تتاجر بالدين (وهى التهمة التقليدية التى توجه ضد الحركات الإسلامية وحتى الأزهر ورجاله وإلى العديد من المفكرين فى مصر) فإن ذلك كان سطحيا وخطأ متعمدا يهدر حقيقة أن هذه القوى أصيلة وأنها لا تتاجر بشئ بقدر ما تعبر عن هوية أمة وشعب ، وعن جذور عقدية وتاريخية وحضارية .. ليس فى الموضوع شبهة متاجرة بالدين لأغراض سياسية وهى التهمة التى يجب أن توجه مثلا إلى الصهيونية لكن أحداً فى مصر لم يجرؤ على توجيهها ضد شتى الوفود الإسرائيلية التى يتعاملون معها منذ عشرات السنين .

ومرة أخرى كانت المشكلة هى خطأ فى الفهم أو سوء فهم متعمد ، لكن النتيجة كانت إشارة إلى الشعب السودانى ورسالة فهمها البعض على أنها تعنى رفض الحكم الشرعى فى الشمال وتشجيع الانفصال الجنوبى أو بالأصح تشجيع شروطه .

وبجانب هذه الخطيئة وتلك كان هناك الموقف الرسمى الذى عبرت عنه بشكل ملفت العديد من الأقلام العلمانية وغير المسلمة وهى تكتب فى الصحف القومية الرسمية .. ويتلخص هذا الموقف الذى مازال يجد طريقه إلى اليوم (انظر مثلا مقال عبد المنعم سعيد فى أهرام ٧ أغسطس) فى أن العلمانية هى الحل الوحيد الممكن لمشاكل السودان وإحلال السلام .. ولكن الخطورة تكمن فى أن مفهوم العلمانية الذى طرح من خلال تلك الكتابات كان يتسم بازدواجية غريبة بل وأثيمة .. ذلك لأن هذا المفهوم فى هذا الطرح طلب باسم المساواة والتعددية فى الشمال أن يتخلى عن

مظاهر الهوية الإسلامية سواء من ناحية تطبيق الشريعة أو أية مظاهر أخرى لإعلان الهوية ، ولكنه وفى نفس الوقت وتحت مسمى التعددية والمساواة سمح للجنوب بأن يعلن عن مظاهر الهوية الدينية المسيحية رغم أن أعداء المسيحيين هناك أقلية ..

وغنى عن القول أن هذا الطرح كذلك ولد حساسيات ورفض نتيجة لغرابته وشذوذه واستمراريته فى تبين مفهوم العلمانية الشرسة المعادية للإسلام الذى ساد فى تركيا الأتاتوركية وانتهى به الحال إلى حد أن بعض أنصاره مثل وزير الخارجية التركى إسماعيل جيم يعلن تخليه عنه ، وهو يؤسس لحزب جديد فى بلاده تمهيداً لدخول انتخابات نوفمبر.

هذا الأسلوب وهذه المنطلقات فى التعامل مع السودان هى التى أدت فى النهاية إلى التمكين للسياسات والمخططات الغربية والكنسية ثم إلى طرح مسألة انفصال الجنوب تحت مسمى حق تقرير المصير .. وهم الآن بدلا من أن يتهموا أنفسهم بانفصال الجنوب يسيرون على نفس الخط القديم ويتهمون حكومة الخرطوم بأنها المسئولة ، وأن سبب مسئوليتها هو أنها ترفع شعار الإسلام ، ولكن رغم كل هذه الضجة لم يقف أحد ليسأل نفسه سؤالاً واحداً : هل لو كانت فى السودان حكومة قومية عربية أو شيوعية أو علمانية كانت حركة الانفصال فى الجنوب لم تقم ؟..

الجواب هو أن هذه الحركة مدفوعة بدوافع كثيرة تجعلها تقوم فى كل الأحوال بصرف النظر عن الحكومة القائمة فى الشمال ، بل إن استخدام مصطلح الشمال فى حد ذاته يدل على أن الانفصال هو المطلب الغربى الكنسى القديم .. لأنهم لم يشيروا أبداً إلى الخرطوم باعتبارها الحكومة الشرعية لكل السودان بحدوده المعروفة ، ذلك لأن استخدام مصطلح الشمال يعنى عدم الاعتراف بوحدة السودان وإنما يعنى أن هناك جزءين أحدهما شمالى والآخر جنوبى ، وأن الشمال الذى يوصف بأنه عربى مسلم هو الذى احتل الجنوب ، وهو الذى اغتصب لنفسه حق تمثيل الشعب والدولة والوطن السودانى ، وقد حان الوقت لكى يحصل الجنوب على حقوقه المهدرة .

إن حكاية الانفصال كانت ستحصل سواء أحكم فى الخرطوم الإسلام أو الشيوعية أو التعددية العربية أو حتى العلمانية وقد حدث الانفصال واستمر فى عهود لا تدعى الحكم بالإسلام بل تنتسب إلى القومية السودانية ولا ترفع حتى شعار العروبة ..

بل والغريب أن دعاة الانفصال وأصدقائهم فى الغرب بدوله وكنائسه يتحدثون عن الشمال الإسلامى العربى ويضيفون كلمة العربى ليمهدوا سبيل الانفصال ويبرروه حتى ولو لم يكن للإسلام وجود مؤثر فى سياسات الشمال لأنهم حتى فى عدم وجود أثر إسلامى يستطيعون القول أنهم يريدون الانفصال لتحقيق هوية الجنوب الإفريقية فى مواجهة عرب الشمال والشرق والغرب .

إن الانفصال مطلب غربى وكنسى رئيسى لأسباب كثيرة ليس منها على الاطلاق وجود تطرف إسلامى مزعوم فى الشمال سواء فى الحكم أو المعارضة .. إنهم يريدون موارد جنوب ووسط السودان المائية والبترولية والزراعية الهائلة ، ويريدون دولة جنوبية مسيحية (رغم كون المسيحيين أقلية) تتمتع بقوة وتقع تحت تأثير الغرب والكنائس لكى تنضم إلى محور وسط وشرق إفريقى صليبى غربى كبير يلتحم مع أوغندا وكينيا والكونغو ووسط إفريقيا ورواندا وبوروندى نزولا إلى تنزانيا ووصولا إلى إثيوبيا واريتريا المجاورة ... وهم يريدون استخدام هذا المحور لضرب الإسلام فى الشمال مع التحالف مع إسرائيل وصولا إلى تهديد أمن مصر المائى القومى وخنقها ووضعها تحت التهديد المستمر بعدم اتخاذ أى مواقف إسلامية أو قوية مناهضة للاستعمار والصهيونية وإلا !.. هذا هو الهدف باختصار ، وهو ما يعطى لموضوع الانفصال أما الحديث عن هوية إسلامية تعلن عن نفسها فى الشمال فهذا ليس سوى ذر للرماد فى العيون وحجة مكشوفة ، لكن البعض تطوع بسوء نية بتصديقها والترويج لها .

إن حكاية الانفصال بسبب وجود اتجاه لفرض هوية إسلامية فى الشمال هو أكذوبة ، وترديدها يكشف عن سوء نية وعن مخطط يتمشى مع مخططات الاستعمار والصليبية والصهيونية .

عدالة السماء

كان للمعلق الرياضى الكروى محمود بكر عبارة مشهورة ومضحكة قالها عام ١٩٩٠ خلال مباريات كأس العالم فى إيطاليا عندما أحرز الفريق المصرى هدف التعادل فى مباراته الأولى مع هولندا .. لقد قال بكر إن عدالة السماء تنزلت على استاد باليرمو (الذى كانت تلعب فيه المباراة) وفى الفترة الأخيرة فوجئت بأحد الساخرين وهو يقول لصديق له أن عدالة السماء تنزلت على محكمة باريس فإذا به يقصد الدعوى اليهودية الغريبة التى رفعت ضد رئيس تحرير الأهرام إبراهيم نافع بدون أسباب .

وفى الواقع كان لجريدة الأهرام رد فعل خائف جداً بدون داع ضد هذه الدعوى القضائية بتهمة معاداة السامية والتى ليس لها سند ولا أثر قانونى .. وقد أسرفت الجريدة فى الحديث عن التأييد العارم الذى ساند إبراهيم نافع من شتى الشخصيات والقوى المحلية والخارجية إلى حد دفع البعض إلى القول بأن الجريدة وهى مؤسسة ضخمة تخشى فى الواقع ليس على رئيس مجلس إدارتها بقدر ما تخشى على مصالحها هى المادية إذا صدر حكم بالإدانة أو الغرامة رغم أن هذا الحكم المنحاز الباطل لا يساوى حتى الورق الذى كتب عليه .

وعودة إلى حكاية عدالة السماء التى تنزلت على محكمة باريس فقد سألت ذلك الساخر عن سبب المقولة فإذا به يقول لى : إن جريدة الأهرام دأبت فى الفترة الأخيرة على نشر مقالات لإحدى السيدات الواصلات وأحد الشاعرين السابقين تهاجم الحجاب وتتطاول على كل علماء الإسلام الأحياء والأموات وعلى تعاليم الإسلام وتطالب بالعلمانية وتهاجم وتشتم فضيلة مفتى الديار وكل ذلك دون معقب ولا حياء ، بل ورأى بعض الناس فى تلك المقالات تلبية للمطالب الأمريكية المعروفة بتغيير المفاهيم الدينية والخطاب الإسلامى .. ومضى الساخر يتحدث عن منع بعض مقالات الأستاذ فهمى هويدى ويقول إن الكتابات الأهرامية التى طعنت فى الحجاب مرت مرور الكرام ، ولكن شاءت الإرادة الإلهية أن يكون لمقال عادل حمودة العادى

جداً أثر غريب فى إثارة تلك القضية .. قلت له إن الوقت ليس وقت شماتة فى أحد ، كما أن مقالات الشاعر السابق قد أوقفت رغم أنها أحدثت ضرراً جسيماً .. وعلى أى حال فإن موضوع قضية إبراهيم نافع لا يستحق الشماتة لأن الهجمة هى الآن على الجميع وهى قد تجاوزت الإسلاميين لتصل الآن إلى أحد كبار الصحفيين الذين يفترض أنهم لا يقفون فى صف الإسلاميين وأنهم بالطبع ممن يؤيدون الخط الرسمى حتى النهاية .

وبدلا من الشماتة من هذا الصحفى أو غيره ، وبدلا من ردود الأفعال المستشرية التى لا داعى لها ولا فائدة ترجى منها فإن هذا الموضوع يجب أن يكون درسا للجميع فى أن العدو واضح وواحد وهو لن يترك أحداً ، وإذا كان البعض الآن يشعر بالراحة من أن الهجوم الأمريكى الصهيونى واقع الآن على الإسلام والإسلاميين وحدهم فإن قضية إبراهيم نافع تثبت أن الهجوم قادم على الجميع .

يجب أن تكون إنذاراً للجميع ، وفى نفس الوقت الذى لا يجب أن تكون فيه شماتة من جانب الإسلاميين فى أحد فيجب أن نسلط الأضواء على الشماتة الكريهة التى تبدو من العلمانيين فى مصر وفى كل المناسبات ضد الإسلام والمسلمين ، ولعل أبرز تلك الحالات هو ما يحدث فى أعقاب أى هجمات ضد جماعة الإخوان المسلمين .. ومرة أخرى نرجو أن تكون قضية باريس مناسبة لاستخلاص العبر المناسبة .

بوشرف

نشرت جريدة الأهرام فى ٦ أغسطس تقريراً عن جريدة أمريكية يقول فيه كاتبه : إن الباكستانيين أخذوا يسمون رئيسهم باسم بوشرف بدلا من مشرف لأنه يخضع تماماً لأوامر وتعاليم الأمريكان ورئيسهم بوش ، ومن هنا جاءت تسمية بوشرف من اجتماع بوش ومشرف .. وبالطبع لا يمكن اتهام الكاتب الأمريكى أو جريدته بأنهم من المتطرفين المسلمين الذين لا يعجبهم مشرف أو أسياده .. لكن هذا التقرير الأمريكى يعبر أصدق تعبير عن حقيقة الأوضاع من ناحية العمالة .

والواقع أن هناك أدلة عديدة توضح حقيقة الأمور فى باكستان كان آخرها ما حدث عندما انفجرت قنبلة فى إحدى السيارات التى يستعملها الأجانب ثم حدث هجوم على إحدى الكنائس التبشيرية .. وفى كلتا الحادثتين وقد وقعتا من قبل عناصر باكستانية داخل باكستان لم يقم بالتحقيق البوليس الباكستانى كما هو المفترض فى أى دولة متحضرة ومستقلة ، بل قامت به وترأسته وأشرفت عليه عناصر من مكتب المباحث الفيدرالية الأمريكية أصبحت مقيمة فى باكستان تتابع مجريات الأحداث فيه وتشرف عليها وتراقبها كما هى الحال الآن فى عدة بلدان إسلامية وعربية .. وإذا لم يكن ذلك هو انعدام الاستقلال والعمالة والتبعية والاستعمار الجديد ، فماذا يكون يا ترى ؟.. وقبلها كان جنود الجيش الأمريكى وليس الجيش الباكستانى أو البوليس الباكستانى أو المخابرات الباكستانية هم الذين يقومون بعمليات تفتيش وبحث وقبض فى المناطق الباكستانية على عناصر مزعومة من ذلك التنظيم الوهمى المسمى بالقاعدة ، وكل هذه التبعية والاستعمار الجديد تتم تحت مسمى محاربة الإرهاب الذى يبدو أنه يعنى فقدان الاستقلال والعمالة .

والحقيقة أنه لم يعد هناك فارق يُذكر بين نظام قرضاى العميل تماماً فى أفغانستان ونظام بوشرف فى باكستان ، ومازالت البقية تأتى !!..

الدعارة

فجأة وبدون مقدمات أخذت الصحف الأمريكية والأوروبية ومعها بعض الأذيال فى الصحف المحلية تفجر قضية ما أسمته بانتشار الدعارة فى إيران .. وبدأنا نسمع التفاصيل الغريبة والصاخبة حول وجود عشرات الآلاف من العاهرات يعرضن أنفسهن فى شوارع طهران ، وعن محاولات لإباحة أشكال الدعارة المرخصة رسمياً كما قالت تلك الصحف للتغلب على هذه المشكلة .

ومن الواضح أن الموضوع بأسره لا يعدو أن يكون محاولة من المحاولات المستمرة لتشويه سمعة إيران لاسيما وأنها تُحكم بواسطة نظام الثورة الإسلامية .. ولكن المضحك فى الموضوع هو تحمس بعض الصحف الغربية فى الحديث عن هذه القضية رغم أن حكاية الدعارة هذه بالذات من باب الشذوذ وما يسمونه بالاستقلال الجنسى للأطفال هى قضية مجتمعاتهم هم التى فشلوا فى حلها رغم الحديث عن الحريات الشخصية ، ورغم أنهم لا تحكمهم ثورة إسلامية ولا بوذية .. ثم كان من الغريب أن يتخذ بعض الصحفيين المحليين من هذه القضية مادة للقدح فى النظام الإسلامى عموما رغم أن حكاية الدعارة الإيرانية هى أكذوبة ، وأن النظام الإيرانى ليس حجة على أحد ، وقد نسى هؤلاء الشامتون والمتفيهقون أن هناك قضية للشذوذ ثبت منها انتشار جماعاته فى مصر على نطاق واسع وكان جزاؤهم هو عدم التصديق على أحكام المحاكم الصادرة فى حقهم والبحث لهم عن البراءة من خلال إعادة المحاكمة .. ويا ليتهم تحدثوا عن سطوة الشذوذ فى بعض المحافل بدل الحديث عن الدعارة الإيرانية المزعومة .

رمز الخيانة

أصبح اسم حامد قرضاى المعين من جانب الأمريكان رئيسا على أفغانستان المحتلة رمزاً للعمالة فى كل مكان ، وبدأت وسائل الإعلام العالمية تتحدث عن أى عميل يُراد فرضه على أى بلد من جانب أمريكا والغرب باعتباره قرضاى ، وهكذا سمعنا قرضاى العراق الذى ذكر أن البحث جار عنه ليخلف صدام ... وسمعنا الحديث عن أن قرضاى مطلوب للصومال وآخر لإندونيسيا والبقية تأتى .. وهكذا انتهت مأساة أفغانستان بلا شئ بعد كل الدمار والعذاب والخراب سوى القشور فيها ومنها على اسم جديد ليصبح مرادفاً للخيانة والعمالة ، فيا له من مكسب عظيم !!..

لقد تمخضت كل دعاوى مكافحة الإرهاب ونصرة الشرعية الدولية فى لا شئ سوى الخروج بعميل ممتاز يدخل اسمه التاريخ كرمز للخيانة فى مطلع القرن العشرين .. ويبدو أن الإعلام الغربى قد نسى وهو يدفع باسم قرضاى كعميل ورمز للخيانة أن يضيف إليه اسم السيد بوشرف فى باكستان المجاورة وأسماء عملاء آخرين هنا وهناك .

ولكن هل كان تدمير أفغانستان وإزاحة الحكومة الشرعية فيها يساوى الحصيلة المتمثلة فى رمز للخيانة والغدر والعمالة ؟..

هل كل هذه الدماء والأرواح تساوى الخروج برمز جديد يضاف إلى رموز الخيانة .. وما أكثرهم فى دنيا الأمريكان والغرب .

لا أحد يدرى ولكن فى عالم تحكمه أمريكا ربما كان الأمر يساوى .

والواضح أن حكاية قرضاى تتجاوز مجرد تحوله إلى رمزا للخيانة والعمالة ، وهى تدل على واقع جديد وهو أن أمريكا لم تعد تدارى عملائها وأصبحت تطلب منهم أن يكونوا عملاء صرحاء بدل التخفى ، وهو الأمر الذى لم يعد مقصوراً على أفغانستان بل تعداها إلى باكستان وغيرها ووصل إلى العراق بل وحتى إلى روسيا وبعض دول آسيا الوسطى الإسلامية .

لقد أصبحت العمالة الآن صريحة وواضحة ووقحة وليس على مستوى الحكام فقط بل على مستوى الإعلام والفكر والثقافة .. ولقد رأينا أن عملاء أمريكا والغرب أخذوا فى الفترة الأخيرة يتحركون فى إطار حكاية تجديد وتطوير الإسلام علمانيا لكى يطالبوا وبوقاحة بتنفيذ أوامر الأسياد الأمريكان باعتبارها رمز الحداثة والتجديد والتقدم والاجتهاد .

وفى هذا الصدد شهدنا مثلا بعض اللادينيين ممن لم يُعرف عنهم أبداً أى اهتمام أو حتى إيمان بالإسلام يتحولون فجأة إلى وعاظ ومرشدين ، ويعلنون فى مقالات وكتب أنه لا يوجد زى شرعى للمرأة فى الإسلام ولا يوجد شئ اسمه دولة إسلامية ، وأن الشريعة الإسلامية قد انتهى زمانها ، وأنها ليست سوى وضع تاريخى غابر كان يصلح فقط لمجتمع الصحراء وليس لمجتمع الحضر أو حتى الريف .

وقد وصل هؤلاء فى أطروحاتهم إلى حد الهجوم على علماء الإسلام ورموزه دون أى خجل بل وصل الأمر إلى حد إحراج وتوريط الحكام الذين عندهم فى مواقعهم ! وذلك عندما أوهموا الناس بأن هجماتهم على الإسلام إنما هى موحى بها من قبل جهات عليا .. والواقع أن الجهات العليا التى أوصت لهم بذلك هى جهات أمريكا وإسرائيل والصهيونية الدولية .

وهكذا تأخذنا وقاحة العملاء وظهورهم بلا خجل فى عهد الاستعلاء الأمريكى إلى حد إحداث فتنة داخلية تنتهى بقلب الأوضاع وشق المجتمعات بل وبهدم الأنظمة الحاكمة التى تدعم هؤلاء اللادينيين ظناً منها أنهم يمثلون عناصر دعم لها إما فى مواجهة من تتصور أنهم أعداؤها من الإسلاميين أو يتصور أنهم سوف يقدمون لهذه الأنظمة خدمات فذة فى شتى مجالات العمل الوطنى بعبقريتهم المزعومة التى صوروا للحكام والناس أنها حكر عليهم وحدهم .

إن عملية رموز الخيانة والعمالة تتجاوز مجرد أشخاص لتصل إلى شرائح عريضة من النخب العلمانية أصبحوا كلهم قرضاى حتى وهم يتظاهرون بالفكر والثقافة ، لكنهم فى الواقع عملاء ورموز للخيانة الدينية والوطنية شأنهم شأن قرضاى ، وهم وقحاء ، وصرحاء

مثله ، أو هكذا صدرت لهم الأوامر من جهاتهم العليا فى الموساد والصهيونية الدولية والماسونية .. ومثلما دمر الأمريكان أفغانستان لكى يضعوا عميلهم على رأس السلطة بأى ثمن لتنفيذ الأوامر بلا خجل فإنهم سوف يعصرون البلدان الأخرى ومعها أنظمتها وحتى الصديقة والمعتدلة منها لكى يوصلوا نخبهم العميلة إلى الحكم لكى تتخذ نفس الأدوار وهى لا تتعدى القضاء على الإسلام وفكره وحركاته .

ويبدو أن البعض لن يتعظ بهذا السيناريو إلا بعد فوات الآوان وبعد أن يزاحوا عن السلطة مثل الطالبان التى فرحوا بسقوطها وهم لا يدرون أن مصيراً مشابهاً سوف ينتظرهم بعد قليل على أيدى أصدقائهم المفضلين من العلمانيين الذين أحرجوهم مع شعوبهم .

على بلاطة

بدون مقدمات هناك أسئلة مريبة حول الهوجة الأمريكية الأخيرة على العراق ، إنهم كل يوم يعلنون عن خطط لضرب العراق وينشرون فى الصحف ثم يعلنون أن عناصر المعارضة العراقية هم كلهم عملاء للأمريكان وأنهم يبحثون عن قرضاى عراقى ... إلخ

ولكن أين الحقيقة فى كل هذا ، هل هم سيضربون صدام حقا ؟.. ولماذا لم يضربوه ويسقطوه فى حرب الخليج ؟.. وكان ذلك فى متناول اليد وفى وجود مبررات كافية لإسقاطه وقتله وحشد القوات المناسبة على الساحة ، إنهم فى الحقيقة مازالوا يريدون صدام ليؤدى مهاماً عديدة وجليلة وكل الحديث عن إسقاط نظامه هو مجرد هراء ، وبدون مقدمات ، كذلك صدام مطلوب ليؤدى مهمة ضرب السعودية وإسقاط نظامها الملكى ليحل محله نظام جمهورى علمانى كل عناصره جاهزة لخدمة أمريكا وهذا النظام السعودى الجديد الجمهورى العلمانى هو الذى سوف يخلص أمريكا من كل هوجة الإسلام والتدين المسمى عندهم بالتطرف والإرهاب ودور صدام فى هذه الحكاية هو أن يستثار بواسطة أمريكا وبواسطة إشاعات الحرب ضده ثم يهجم على السعودية ويضرب أهم مواقعها الاستراتيجية ويدمر مصادرها اليومية بحجة أن السعودية تؤوى قواعد وقوات أمريكية مجهزة لضربه ، وأنه أراد أن يتغدى بهم قبل أن يتعشوا به ، وبعد أن يدخل صدام ويدمر تدخل أمريكا بحجة إنقاذ السعودية ثم تنتهز المناسبة لكى تقيم النظام الذى تريد ، وهو لن يكون سوى نظام معاد للإسلام يستتر ذلك بالحديث عن التجدد والتنوير والتقدم ، وكل عناصره كما قلنا موجوده وهى تكتب هنا وهناك على أنها أقلام مستنيرة تحديثية ، وبعد أن يؤدى صدام هذه المهمة سوف يعود لينسحب إلى داخل حدوده وعندئذ يمكن ضربه والتخلص منه إما

مباشرة أو بعد حين.

القضية إذن ليست هي في الهجوم على نظام العراق أو حتى تقسيم العراق وإنما هي قضية تلميع صدام مرة أخرى وإعطائه مبرراً لكي يهجم على الهدف الأمريكي الحقيقي وهو السعودية ، إن نفس السيناريو الذى لعبوه مع صدام فى إيران والكويت سوف يتكرر الآن مع السعودية ولخدمة هدف أمريكي وغربى حيوى ، إنهم الآن خرجوا على العلن ليقولوا إن السعودية هى سبب البلاء الإسلامى وأنها نبع الإرهاب الإسلامى وأنها مهد الفكر المتطرف .. إلخ .

ولقد حان الوقت للقيام بتدخل فيها لكى يوضع على دفة الحكم النظام العلمانى الذى يريدونه .

ومرة أخرى سوف يلعب لهم صدام دور البلطجى الذى ينفذ لهم كل مايريدون وهم يتولون تقديم الحجة له ، أما الحديث عن ضرب صدام وخطط نشر القوات وعمالة المعارضة العراقية .. إلخ فكلها تحركات تمويهية لإبعاد الأنظار عن ما يبرر حقيقة وكذلك لإعطاء المبرر لصدام كى يضرب السعودية على أساس أنه يستبق العدوان الموجه ضده لإجهاضه وأمريكا بتشويهها لدور المعارضة العراقية بالذات الإسلامية تريد أن تستبعد هذه المعارضة أو بالأصح العناصر الشريفة منها فى خريطة الحكم القادم فى بغداد والذى لن يأتى إلا بعد أن يؤدى صدام مهمته الأخيرة فى ترتيب الأوضاع فى السعودية لصالح أمريكا هذه هى ببساطة الحكاية، وحقيقة اللعبة الآن هى عكس المقولة القديمة (اسلم تسلم) بل الشعار الجديد هو (اسلم تهلك) ولهذا فإن الخونة الذين باعوا الإسلام وأراحوا أنفسهم يجلسون الآن على الحصيرة مرتاحين ويدلدلون أرجلهم ، لقد اشتروا وثيقة تأمين لا بوار لها مع الأرباب الجدد ، أما صدام منذ كتب عليه أن يكون رمز الخيانة والغباء، بحيث أصبح هو السيد الذى ينفذ للأمريكان كل المهام القذرة فى تدمير بلاده وإيران والكويت والسعودية والتمهيد لسيطرة الأمريكان وأشياعهم عليها.

العيد الخمسون

على طريقة الصلعاء التى تتباهى بصلعة بنت أختها شرع الناصريون الرسميون فى كلمة الاحتفال المبالغ فيه بالعيد الخمسين لانقلاب يوليو وفرضوه على الناس بالعافية من خلال سيطرتهم على الإعلام الرسمى رغم الضيق الذى كان الناس فيه بسبب موسم الصيف والغلابة ونتائج الانتخابات .. ولو كانوا قد كفوا على الخبر ماجور وأبقوا الاحتفال لأنفسهم لما اهتم أحد ، لكنهم فرضوا الحكاية على الناس فى الوقت الذى نجوا فيه هم من هذا الإزعاج ووجع الرأس بالسفر للخارج أو للداخل أو مشاهدة القنوات المشفرة فبينما وقع الناس فى فخ الإعلام المحلى الذى لا بديل له عند الفقراء .. وهناك بعض ملاحظات على هذه الهيصة أبرزها ذلك

التقديس والتطريب الذى أفاضوا فيه على الخالد سابقاً حيث اكتشفوا فيه صفات القديسين والملائكة ونسوا كل ما فعله حتى برفاق وأساتذة الدرب وأولهم محمد نجيب ، ولن نتحدث بالطبع عن إنجازات الخالد وأبرزها النكسة المشهورة التى جعلتنا الآن فى قبضة إسرائيل وأمريكا ، ولكننا نسأل عن سبب ذلك التقديس الغريب الذى لم يحظ به أحد من الأحياء .. لماذا بدا الأمر وكأنه محاولة لا داعى لها للبحث عن الشرعية للحاضر فى الماضى الغابر الملئ بالهزائم .. إنهم يقولون أن الحاضر ملئ بالانجازات والأمجاد .. طيب صدقنا .. ولكن ألا يجب أن يكون التركيز على هذه الإنجازات بدل الحديث عن تأميم قناة السويس وانفصال عرس الجمهورية العربية المتحدة وهزيمة يونيو ومقتل المشير .. وأى إنجازات أو شرعية تلك التى تقوم على تلك الأشياء ولا تقوم على إنجازات الحاضر .. ثم هناك الحديث عن استمرارية الثورة رغم أن بنت عبد الناصر قالت إن الثورة انتهت مع أبيها .. وأين هى تلك هذه الإنجازات الثورية المستمرة ؟.. هل مازالت مكاسب الثورة موجودة ؟.. أين ذهبت حكاية إلغاء الملكية والديموقراطية السليمة والعدالة الاجتماعية يا ترى ؟.. وما هو الوضع بالنسبة لها ؟..

وعموماً فإن الاحتفال المسرف والمبالغ فيه بالثورة تحت شعار العيد الخمسين كانت له فوائد عديدة فى صرف الأنظار عن شتى الأمور المحرجة هنا وهناك بالإضافة إلى فتح باب واسع للرزق لكل المتحدثين والكاتبين .

الاحتكار

فى عدة أحاديث ومقابلات أعلن المحتفلون بالعيد الخمسين لانقلاب يوليو أن ضرب الإخوان كان أمراً صائباً ومطلوباً ، بل وعادلاً لأن الإخوان طمعوا فى السلطة وأرادوا الوصول إلى الحكم ، وجاء التعبير عن هذه الأفكار على يد بعض رموز الثورة الباقين على قيد الحياة .. وبصرف النظر عن الحقيقة وبصرف النظر عن لا إنسانية الضرب وتجاوز لكل الحدود الإنسانية فإن هذه الحجة تثير تساؤلات مهمة حول تصور دعاة الانقلاب وخلفائهم عن السلطة والحكم .

إنهم ينظرون إلى السلطة والحكم باعتبارها مغنما وغنيمة لا باعتبارها واجبا ومسئولية وبحيث يجب أن يؤدى لخدمة الشعب وبرضائه ، وهم فى هذا المنطلق يعتبرون أن أى تيار سياسى شعبى يمكن أن يصل إلى الحكم فى انتخابات حرة أو حتى فى انقلاب عسكرى هو خصم لهم يريد أن يشاركهم فى النهبة ويخطف اللقمة الطرية من أفواههم ، إنهم فوق ذلك يظهرون استعلاءً غريبا باحتكارهم للعبقرية ومزاعم القدرة بحيث لا يصبح فى رأيهم أحد قادر ولا صالحاً على الحكم سواهم وكأنهم هم الذين امتلكوا الحكمة والقدرة والفعل وليس لدى غيرهم أى منها ... والغريب أن أذناب هؤلاء هم الذين يقفون اليوم فى وقاحة ليعلنوا أن الإسلاميين مجرمون آثمون ، وذلك لأنهم يدعون احتكار الحقيقة (ويقصدون العقيدة

الدينية) ولأنهم يريدون الوصول إلى الحكم ، وكأن الوصول إلى الحكم بالانقلاب ثم الخلود فيه إلى الأبد وتوريثه للأبناء والأحفاد (حتى وهم يعلنون أنهم اسقطوا الملكية ويحتفلون بمقولة عرابى أن الشعب لا يورث) لا يعنى احتكار الحقيقة والعلم والسلطة والوطن وكل شئ تحت الشمس .. إنهم يعلنون وبدون خجل أن احتكارهم هم لكل شئ هو الحق المطلق أما أن يحاول غيرهم أن يطرح مجرد رأى آخر أو موقفا مختلفا فهذا هو عندهم هو الكفر المطلق وهذا هو الاحتكار بعينه ، إنهم بهذا المفهوم الشاذ الغريب يبررون كل أشكال الدكتاتورية والظلم وحجب الحقوق الإنسانية وغير الإنسانية بحجة أنهم يحاربون المتطرفين الذين يريدون احتكار الحكم والسلطة بينما هم وحدهم المحتكرون ولكن يرمون الغير بدائهم.

نيجيريا

بمناسبة مرور أربعين عاماً على انقلاب العسكر الصليبى والطائفيين فى نيجيريا على الحكومة الشرعية المنتخبة انتخاباً حراً ديمقوقراطياً فى كافة الشعب النيجيرى وحماية لمصالح القوى الغربية فى ذلك البلد أذاعت إحدى القنوات العربية الفضائية برنامجاً حول ذلك الحدث ، وقد أعاد هذا البرنامج إلى الذاكرة أموراً نسيها الجميع فى خضم الأحداث رغم أنها كانت فى وقتها ملء الذاكرة والاهتمام .. وأبرزها كان الطابع الصليبى الواضح لقادة الانقلاب الذين ظهروا فى بعض البرامج الاخبارية الغربية وهم يعلنون عن مذاهبهم الكاثوليكيه أو البروتستانية ويتفاخرون بأنهم قتلوا الزعماء المنتخبين المسلمين هم وزوجاتهم وأطفالهم ، وقد ذكرتنى هذه المناسبة التى كنت قد نسيتها تقريباً رغم اهتمامى الشديد بها فى وقتها ولسنوات بعدها بالأحداث فى السودان. ففى نفس يوم عرض هذا البرنامج كانت الصحف القومية وعلى رأسها الأهرام تمتلئ بمقالات وتحليلات مزعومة لعشرات العباقرة الذين ظهروا فجأة ليعلنوا أن سبب المصائب فى السودان هم المسلمون الذين أسموهم بالشماليين والذين زعموا أنهم أرادو فرض الإسلام وشريعته بالقوة على الجنوبيين ، ومن هنا ثار هؤلاء لعقيدتهم وحريتهم ، وخلاصة الكلام أن هؤلاء الكتاب الذين أفسحت لهم الصحف الرسمية المجال وحدهم يرون أن سبب المشكلة فى السودان هى الإسلام وأن الحل يكمن فى إبعاد هذا الإسلام وشريعته عن ساحة الدولة ثم المجتمع مع إفساح المجال فى نفس الوقت لمسيحيى الجنوب (هم أقلية خلقتها من العدم بعثات للتبشير لكى ينشروا عقيدتهم ويفرضوا قيمها على كل البلاد تحت مسمى العلمانية ، وربطت بين الواقعين فى السودان وفى نيجيريا ، ففى نيجيريا قبل أربعين سنة لم يكن هناك حكومة إسلامية ولا تطبيق شريعة ولاجبهة إنقاذ إسلامية ، وإنما حكومة تمثل أغلبية السكان ويترأسها أشخاص وقادة مسلمون انتخبوا انتخاباً حراً شريفاً ولم يفرضوا الشريعة أو العقيدة الإسلامية على أحد ، ورغم ذلك أشعل الاستعمار الغربى ومصالحه

قضية مماثلة لما حدث ويحدث فى السودان ، إذ راحوا يقسمون تلك البلاد إلى شمال مسلم وجنوب مسيحى وثنى رغم أن المسيحيين الموجودين كانوا مجموعة مصنوعة ببعثات التبشير ، ثم اكتشف البترول فى أحد الأقاليم الشرقية الجنوبية وهو إقليم بيافرا وبدأ الاستعمار بجانب إثارة نعرة الشمال والجنوب يثير نعرات أخرى إقليمية وقبليه وعرقية ولغوية وانفصالية لكى يفصل أقاليم الجنوب الغنية بالمصادر الطبيعية المختلفة والمطلة على ساحل الأطلنطى ، وقامت الحرب الانفصالية بعد عدة انقلابات صليبية ضد الحكومات الشرعية ثم سارت الأمور بعد قمع الانفصال إلى فرض العلمانية على نيجيريا حتى وصلت إلى قمع الأغلبية المسلمة فى تلك البلاد بحجة أنها ليست سوى إقليم واحد هو إقليم الشمال وبحجة أنها تعلن الهوية الإسلامية برغم أن المسيحيين فى الجنوب (وهم أقلية) يعلنون عن هويتهم بكل الطرق دون أن يعتبر أحد ذلك تهديداً للعلمانية ، وهذا السيناريو الذى وقع فى نيجيريا تكرر فى عدة بلدان إفريقية حيث جرت محاولة حصار الإسلام وأغلبياته بين السكان على نفس الخط المألوف وهو خلق أقلية مسيحية بالقوة من خلال عمليات التبشير غير النزيه ثم توضع هذه الأقلية مع القوميات الوثنية فى جنوب البلاد حيث الموارد المختلفة والإطلال على الساحل ثم اختراع قصة الشمال والجنوب وأسطورة الهيمنة الإسلامية لكى يتم تبرير ليس فقط الانفصال وإنما كذلك زحف الجنوب للسيطرة على الشمال وقمع الأغلبيات المسلمة .

وهذا السيناريو القديم الجديد هو بعينه ما يطبق الآن فى السودان ولكن بدلاً من كشفه وتعريته فإن كل جهابذة وعباقرة الإعلام الرسمى ومعهم الاستراتيجيون والمستشارون ينغمسون فى المؤامرة ويروجون نفس أكاذيب المجموعة الجنوبية فى السودان الموالية للغرب وللكنائس ويروجون معها لكل مخططات الأمريكان ليس لفصل الجنوب عن الشمال (وإن كانت هذه قد تكون مرحلة مبدئية لفترة انتقالية) وإنما بسيطرة العناصر الصليبية والعلمانية على كل البلاد فى تحالف شيطانى ضد الإسلام ، إن الذين يملئون الصحف هذه الأيام اتهاماً للإسلام والمسلمين بأنهم هم سبب مصائب السودان لا يريدون لأحد أن يذكر أحداث نيجيريا التى هجم فيها الصليبيون استبداداً على المسلمين وعلى الإسلام قبل أن يكون هناك أى تطبيق للإسلام أو لشريعة بل ووسط احترام الحكومات القائمة لمبادئ العلمانية وحرية العقائد والأديان وبالذات المسيحية .. كل المشكلة هى أن الحكام كانوا مسلمين فقط وهذا هو ما لم يعجب الصليبيين ، إن نفس الكراهية للإسلام هى سبب كل المشاكل الآن فى السودان وليس تطبيق الشريعة أو الرق أو فرض الإسلام وهذا ما لم يحدث ومن المخجل والمشين أن البعض فى مصر وهم يعرفون الحقيقة يكذبون ويتهمون الإسلام والمسلمين بأنهم سبب الكوارث لمجرد وجودهم فى الدنيا وماذا عن المبادرات الصليبية بالعدوان وكراهية الإسلام والعروبة .. اذكروا أحداث نيجيريا .

د . محمد يحيى

عملية نصب

هل يمكن تصور نصاب أمين .. عنده أخلاق .. يمارس أعماله بشهامة .. فيقول لضحيته فى صراحة يا فلان .. خللى بالك .. أنا فى نيتى النصب عليك .. جميع ضحايا النصابين لا يدركون حجم المغرز إلا بعد وقوع الفأس فى الرأس .. ورغم الخدر والحرص .. فإنه فى النهاية لا يقع إلا الشاطر !!..

عدة النصب معروفة للجميع .. والخطوات مُعلنه وغير خافيه .. وشغل النصب يعتمد على تغييب عقل الضحية .. وإزالة الوسواس والنمل الذى قد يتسلل إلى مراكز الإحساس .. والوسائل وجه لامع مصقول ابتسامة متلألئة طرية .. خطوط الملابس مرسومة ألواناً بالفرشاة .. وتشع عطراً وكأنها حديقة زهور والكلام كحبات الزئبق تتدحرج وتنقسم إلى كرات صغيرة من الأحلام .. تتسلل داخل الأذن لتخدر الأعصاب .. ولا مانع من الهدايا والمجاملات التى تبدأ بباقة من الورد مروراً بسهرة زرقاء مع المنكر .. وقد تصل إلى مظروف به مفتاحان الأول مفتاح "لدابة" تأكل البنزين وتجرى وكأنها بساط الريح لسيارة من أحدث الموديلات والمفتاح الثانى لشاليه على البحر لزوم المصيف والذى منه .. وبهذا يمكن فتح كافة خزائن البنوك المغلقة .

أما أعقد أنواع النصب .. فهو النصب السياسى إلا أنه مع الخبرة التى تم اكتسابها من تعدد المقالب فإنه يمكن رصده عندما يبدأ الطرف المقابل بطلب أن "يقيم حواراً" .. فعندما يقول تقيم حواراً فلابد أن تتوقع أن الشغل الثقيل قد بدأ .. وأن النصب قادم كالسيل .. ودوخينى يا لمونه .. ودوامات

التــوهان الأعظم .. وإبر التــخــدير الكامل والموضــعي .. وشلل العــقل والإدراك .. ثم ينتهي الأمر باتفاقية كالعاهة المستديمة تكرس التخلف العام .

أكبر عملية نصب يتعرض لها العالم الإسلامي هو ما حدث بعد ١١ سبتمبر .. ولمواجهة الهجوم الضارى من الميديا العالمية باتهام الإسلام بالإرهاب .. هاجت عواصف غير تنظيمية تطالب بأن نصحح الصورة المغلوطة ونقدم إسلامنا الحنيف السمح بصورة تبيّض لها وجوهنا .. وبدلاً من فترة صراع الحضارات نقيم حواراً بين الحضارات !!..

من الواضح أن هذه الهوجة كان يقودها صنايعية الكلام فالصورة المغلوطة المكسرة لا يصلح معها شغل السمكرية واللحام .. وتبييض الوجوه لا يمكن أن يتم .. ولو استخدمنا كل ما أنتجته مصانع البويات مع أننا فهلوية دهان الهواء بالدوكو .

أما عن صراع الحضارات أو حوار الحضارات .. فالنخبة في الغرب .. ومراكز الأبحاث تعرف عن الإسلام وتاريخه كعلم ودراسة أكاديمية ما لا يعرفه الكثير من علمائنا الأفاضل .. ولأن هذه المراكز تخدم وتمول من قبل قوى الاستكبار والاستعلاء .. فإنها تقدم الإسلام إلى الرأى العالم العالمي فى صورته المتخلفة .. وافلحوا فى إثارة شبورة هائلة حول مبادئ الإسلام الحنيف وقد سهل لهم الأمر ما قدمه ويقدمه لهم سفهاؤنا من سلوكيات

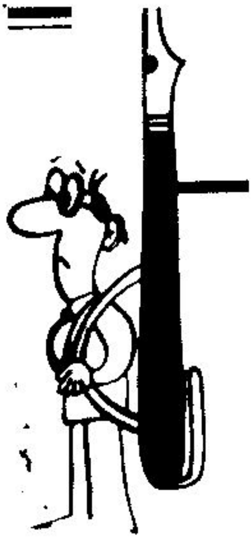

أكثر تخلفا وحمقا .. والإنسان يا ولدى لا يسمع وعظاً إلا من قدوة .. فقبل أن يكون محمداً نبيا كان صادقاً وأميناً .. وقبل أن يكون هاديا ورسولاً كان زاهداً بعيداً عن الدّنية .. ومثلا فى مكارم الأخلاق .

إذن فماذا يريدون منا ؟..

وماذا نريد منهم ؟..

هم يريدون الهيمنه المطلقه فهم الأقوى مادياً وعسكرياً ويريدون منا الخضوع التام .. وأن ننسى تماما قيم العدالة .. والحرية .. والمقاومة أيا كان شكلها ، ولا يتأتى ذلك إلا بوضعنا دائما فى موقف المعتذر .. المدافع عن نفسه بالاسترحام "والتوسل" .

ونحن لا يجب أن نعتذر عن شئ لم نفعله .. وإذا كان هناك "حوار" يجب أن يستمر .. فلتكن رسالته واضحة ومختصرة بأن جميع شرائع الدنيا تعظم مبدأ ألا تزر وازرة وزر أخرى .. وأن إسلامنا دين حرية وعدالة ومساواة .. ودعوته بالحسنى .. ولا نستطيع أن ننسلخ من ثوابتنا .. وأن من آمن بما جاء به محمد فقد ابيض وجهه ومن قصّر فحسابه عند ربه أما أنتم فمبادئ حوارنا معكم هى ما قاله نبينا ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة

سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ .

مرة أخرى
عن ثورة ٢٣ يوليو

قال الراوى :

شئ طبيعى أن يصبح الرقص والغناء لغة رسمية للاحتفال بثورة ٢٣ يوليوتتحدث عن إنجازاتها بالهز الشامل لكل عضلات الجسم .. حيث إن التعبير الرعاش للوسط أصبح سمة غالبة على الوسط الفنى .. والوسط الرياضى .. ودخوله فى الوسط السياسى ينسجم مع المناسبة .

ورغم هذا فقد صاحب هذا الحشد الراقص حشد آخر من الصبية الذين يتقنون حكاوى القهاوى عن أبو زيد عندما بدا له الزناتى خليفة .. وصاح فيه : حكايات معادة ومكررة وموسمية عن الخلافات والعلاقات بين أعضاء مجلس قيادة الثورة .. وكأنها مجلس قيادة نادى رياضى أو اتحاد كرة قدم .

يقول الراوى : إن الثورة لها سلبياتها وإيجابياتها ، ويجب أن يتم نقد الثورة على خلفية الزمن الذى قامت فيه وليس بمعيار زماننا .. هيه ... يه ..

إذا كان النقد سيتم على الموسيقى والأنغام والهشك بشك .. يبقى يفتح الله .. "وموش لازمنا" .. إنما النقد الذى نعرفه سواء بمعيار زمن الثورة .. وحتى بمعيار زمن السلطان قلاووظ .. هو النقد الإنسانى الذى يبحث عن الحق .. عن أثر ما قدمته الثورة وقامت به من أعمال أثرت على قيم هذا الشعب .. وترابطه .. ومثله العليا .. وحبه وإقدامه على العمل والإنتاج .. ونظافته .. وشوارعه.. وحرصه على قول الحق .. والشجاعة فى إبداء الرأى .. والمشاركة فى القرار وألا يسمح لأحد بخداعه .. أو ينصب عليه بأعمال غسيل المخ .. وخوفه على المال العام .. ودفاعه ضد الظلم .. وتمسكه الشديد بحريته وكرامته .. ووقوفه ضد المحسوبية .. ومحاربته للمستغلين والمتسلقين .. وتأكيده على تساوى الفرصة .. ووضع الرجل الكفء فى مكانه الصحيح .. ونفوره من النفاق .. وإنكاره للتبعيةوالسلبية .. ومراقبته للتنفيذ النزيه للإنفاق على مشاريعه التنموية .. وأن يوضع الجنيه فى مكانه الصحيح .. وأن يكون عائده عاما لمصلحته .. أليست تلك بعض أحلام الشعب يوم قامت الثورة ؟؟..

كنا نود أن نسمع نقدا عن أثر تخلص عبد الناصر من رفاقه الواحد تلو الآخر .. ووضع الأقفال على أفواههم .. بل وصل الأمر إلى حد الاعتقال وتحديد الإقامة الجبرية .. ووحشية المعاملة .. واعتماده على الصغار الذين أتقنوا الخضوع والخنوع والنفاق .. ثم فى النهاية انفراده بالقرار بلا ناصح أو مستشار.. ورفضه .. ومصادرته للكلمة قبل

أن تتحرك بها الشفاه ..

ألم يكن هناك من نبه ؟.. ومن حذر .. بل ودفع ثمناً باهظا من اعتراضه .. ألم يكن فى مصر حينئذ رجل رشيد ؟؟.. وهل يتوافق مع قيمنا وأصالة شعبنا حينئذ أن يصور الغدرعلى أنه صراع على السلطة تستخدم فيها كافة أسلحة الغاب .. ويصور ذلك على أنه أمر طبيعى .

نريد من يوضح لنا أثر اختيار قيادة جيش مصر - خير أجناد الأرض .. والتى حكمتها عقلية الشللية .. وفى سبيل تأمين أنفسهم .. قدموا الضحايا .. وحولوا السجن الحربى رمزاً للذل والمهانة .. وكانت النهاية مهزلة سنة ٦٧ وأثرها المدوى الذى لازلنا ندفع ثمنه حتى الآن .. ومن قبله حرب اليمن .. والمغامرات الفاشلة فى إفريقيا والتى تمت لمصلحة الشيوعية العالمية .. ومعارك طواحين الهواء ضد الاستعمار الذى كان قد قرر تغييرجلده ولونه .. ويرحل عن مستعمراته ليصبح الاستعمار الاقتصادى أشد وأنكى.. وترك عبد الناصر يلعب منفرداً فى الوقت الضائع .

نريد نقداً لتجربة الوحدة الفاشلة التى أدت أغراضها فى زيادة الفرقة وتشرذم العرب .. نريد نقداً لتجربة التأميم الذى وضع ثروة مصر كلها فى أيدى التتار غفر الثورة والمؤتمنين عليها .. فنشروا العملاء والجواسيس يضعون العصا فى عجلة المال والاقتصاد .. ويتحكمون فى المال وكأنما آل إليهم عن طريق الإرث بعد موت الست الوالدة .

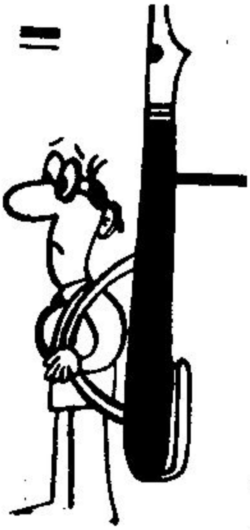

يقول الراوى إن الرئيس الملهم وقف مخاطبا قطيعاً من البشر يسد عين الشمس متهما أمريكا بأنها تريد نشر مجاعة بين الشعب لأنها منعت القمح الذى ترسله كمساعدة .. إلا أن الاتحاد السوفيتى الصديق والرحيم حول مراكبه من عرض البحر إلى مصر تحمل القمح الشيوعى بدلا من القمح الرأسمالى .. نريد ناقداً نزيها.. يقول لنا كيف لزعيم غير ملهم .. يرضى لشعبه أن يأكل من صدقة مسمومة لهذا أو ذاك .. وكيف أوصل الأمور لهذه الحال !..

ويقول الراوى أيضا إن دراسة لمعهد التخطيط القومى تقول إن مصر تحملت من هزيمة يونيو ٦٧ إلى أكتوبر أكثر من مائة مليارجنيه (حوالى الفين مليار بأسعار اليوم).. وتكلفت حرب اليمن أكثر من مائة مليار(بأسعار اليوم) .

لقد قامت الثورة .. وصدقها الناس الطيبون بأن صبرهم قد انتهى.. وأن الفجر قد بزغ عن جنة اسمها مصر شريعتها العدل .. وسلوكها السماحة .. وأخلاقها الود والمحبة .. بلداً نموذجيا يفخر به المصريون جميعا .

فماذا تركت "ثورة" يوليو لمصر بعد خمسين

عـامـا ؟.. ومـاذا بقى لمصـر من "ثروة" بعـد خمسين عاما ؟.. وماذا ضاع من أخلاق مصر وأصالتها خمسين عاما ؟..

ملحوظة :

الشماعات المستهلكة التى استخدمت طوال الخمسين عـاما الماضية فى الدفـاع عن الثورة مرفوعة من الخدمة لعدم الصلاحية .

يا شيوعى ... عيب

من شب على شئ "شـاب"عليـه .. وعندمـا يموت الزمار فإنه يصبح مستحيلا ربط أصبعه حتى يتوقف عن اللعب .

الشيـوعيـة مذهب شاذ .. مات وشبع موتا .. والشـيـوعـيـون الذين انقـضى عـمـرهم الافتراضى لازالوا يحلمون بأنهم يركبون قطار المستقبل إلا أنه فى حقيقة الأمر يتشعبطون فى قطار "المناشى" .

واحد منهم حطوه فوق كرسى .. والكرسى فى حجرة والحجرة فى مكان ما محطوط عليـه يافطة باسم حزب .

ما مناسبة هذا الكلام ؟..

المناسبـة هى أن المحروس وجد فى بيان قادة الجـمـاعـة الإسـلامـيـة - المحبـوسين حـاليـا - بالرجوع عن فكر العنف فـرصـة للتشكيك فى نواياهم .. وأن هذا قد يكون موقفا تكتيكيا يسهل الرجوع عنه .. وطلب منهم بيان موقفهم من الدستور والقانون الوضعى .. كلام خايب لا ينم عن استمرار مشاعرالحقد ... رغم أن الجـمـاعـة لم تقتـل والده .. ولم تنازعـه الإرث الذى ورثه من الست الوالدة .

المواقف التكتيكيـة الملونة هى ما برع فيـه الشيـوعيون الذين يسهل عليهم تلوين جلودهم .. وبدون استخدام مساحيق السيدات .. ففى أول أيام الثورة وتوجهها نحو أمريكا .. حاول الشيـوعيون المعتقلون مع الإخوان فى معتقل الواحات أن يكونوا مع زملاء "البرش" جبهة ضد الثورة ..

إلا أن الإخـوان رفـضـوا .. حـيث لم يدم الوقت طويلا حـتى خـرج الشـيـوعـيـون من المعتقل وركبوا موجة التضليل الكبرى لغسيل أدمغة الشعب بعدأن سيطروا على الصحف ووسائل الإعلام .. وكانوا أكثر حرصا على استمرار مهاجمة الإخوان الذين أكلوا معهم عيش "ويَمَك" .. بل وتعدوا ذلك إلى الهجوم على رموز الإسلام من علماء ومشايخ .. هدما لثوابت الدين .

ورغم أن الشـيـوعـيين قـد درسـوا مناهج التطور فى التـاريخ فى كـتـاتيب سـيـدهم ماركس اليهودى إلا أن المذكور ينكر ويستنكر على أى حركة تطورها .. ويفترض فيها جمود الفكر.. وكـأنه لم يسـمـع قـول اليـهـودى الآخرشارون عندما نطق وقال :

إن الحمـار هو الوحيـد الذى لا يغيـر رأيه (شارون لم يصل إلى درجة الحمار بعد) .

وفى الوقت الذين يسيلون فيه براميل الحبر

الأسود والأحمر كلاما عن أخلاقيات ازدواجية المعايير .. فبانهم يمارسون "فضيلة"تعددية المعايير .. الجماعة الإسلامية أعلنت بياناتها ولم تطلب مقابلا لذلك .. لا الإفراج عنها .. ولاتحويلها إلى حزب سياسى .. ولكنها ناقشت فكراً فقهياً اقتنعت به بعد دراسة وأبحاث .. وهذا تطور طبيعى ومحمود لكافة أحوال البشر وبما فيهم العديد من الشيوعيين السابقين واليساريين الذين طوروا فكرهم وأصبحوا أكثر موضوعية .. وقد رحب العديد منهم ببيان الجماعة .. انطلاقا من فهم أكثر عمقا لحقوق الإنسان فى تطوير فكره وفى التجربة والخطأ، وهى أمور أنكرتها نظرياتهم السابقة والتى كانت تقدس الرأى الواحد والتى استدعى تطبيقها سحق كل أنواع المعارضة .. حتى الموجودة فى القلب على اعتبار أن النية هى مصدرالإصرار والترصد .. ويظل المعارض للنظم الشيوعية والشمولية .. معلقا على ظهره يافطة عدو مادامت الحياة - هذا إذا قُدر له أن يستمر فى الحياة - لا يقبل منه تراجعا عن فكره .. ولا يقبل منه اعتذارا حتى ولو اعتذر لجميع أفراد ميليشيات الحزب .. وكافة الرفقاء أعضاء اللجان والجماهير من النجارين والسباكين وسائقى الميكروباصات .. وبتوع الكارتة .. هذا هو فكر الشيوعيين غير الإنسانى .. والذى سحقته البشرية تحت نعال الحرية .. ولفظته هو وصانعيه إلى مزبلة التاريخ .

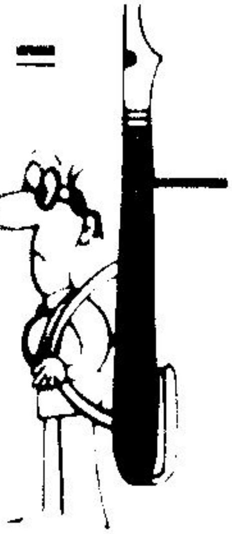

ملحوظة :

(أرجو من يعرف مكان مزبلة التاريخ أن يدلنى عليها)

لقد دأب كل من يجلس فى كرسى المعارضة أن ينادى بالحرية للجميع .. وبالإفراج عن المعتقلين .. وأن يدافع عن حرية الرأى الآخر .. وخاصة وأنه شخصيا قد تعرض لمصادرة رأيه .. وفقد حريته يوما ما .. وأن يطالب السلطات بأن تراعى حقوق الإنسان ولا تلجأ إلى العقاب الجماعى - التى تمارسه الصهيونية حاليا - وأن تعود إلى القاعدة الإسلامية "ألا تزر وزر أخرى" .. وألا حساب على ما تكنه الصدور والنوايا .. وأن القانون يحمى المواطنين جميعا ، وأن الرأى لا يُحارب إلا بالرأى .

ولازلت أحلم بيوم يتسلل فيه إلى أدمغة بعض من يملكون القلم ميكروب الرجولة والشهامة .. فيصيبهم وباء أصالة أولاد البلد فيتعففون أن يهاجموا إنسانا مقيد الأغلال .. ومعتقل الفكر وأصبح عاجزا عن الدفاع عن نفسه .. وأن نتوحد جميعا أمام خطر قادم لا محالة يستهدف المسلمين جميعا على اختلاف

توجهاتهم ولا يفرق بينهم إلا بعبارة "من ليس منا فهو علينا".. فالصواريخ أمريكية الصنع إسرائيلية المنشأ لا تفرق بين عبود الزمر .. ورفعت السعيد ماداموا قائمين على شهادة التوحيد .

تكذيب

الخبر الذى ساقته الأنباء إلينا كان كما يلى: محمد شيلالى الجزائرى المسلم أنقذ حياة الرئيس الفرنسى شيراك بأن قام بإبعاد فوهة بندقية كان يصوبها إليه أحد الفرنسيين النازيين .. وساعد فى القبض عليه .

لم أصدق الخبر .. حيث كان على وكالة الأنباء كتابته بأحد من الطرق الثلاثة التالية لكى يكون الخبر منسجما مع الحرب ضد الإرهاب .

١ - محمد شيلالى اصطدمت يده صدفة فطاشت الرصاصة وأصبح محمد بطلا رغم أنفه .

٢ - محمد شيلالى ظن أن الرجل يريد قتله على اعتبار أنه عربى مسلم - إرهابى - فدفع الرجل أثناء فراره فطاشت الرصاصة.. واعتقدت الشرطة خطأ أنه يريد قتل الرئيس.

٣ - محمد شيلالى هو الذى كان يحمل البندقية .. وهو مسلم - إرهابى - ينتمى إلى تنظيم القاعدة .. وهو مكلف بقتل الرئيس شيراك حقداً على الحضارة الغربية .. وعندما انكشف أمره ألقى البندقية على الشاب الفرنسى البرئ ضحية المؤامرة الإرهابية ..

وقد تم القبض على محمد شيلالى الذى اعترف بجريمته بعد تحقيق نزيه حضره محاميه ومندوب عن جمعيات رعاية حقوق الإنسان .. وقد سُلم إلى المباحث الفيدرالية لاستكمال التحقيق معه .

إلى من يهمه الأمر

وبصرف النظر عن الأسلوب الذى نعالج به موضوعات كتاباتنا والذى قد لا يروق للبعض .. فإننا نود توضيح مايلى :

١- نحن لا نقصد الإساءة إلى شخص بعينه وإلا وقعنا فى معصية نعوذ بالله منها .

٢- إنه لا يجب أن يصرفنا عن الجوهر والقصد من الموضوع الغالب الذى توضع فيه الأفكار وهو أسلوب الكتابه فهو لا يعدو أن يكون أسلوبا للعرض ولجذب القارئ وتوصيل الفكرة إليه .

٣- إنه يجب أن ينصرف الفكر إلى الأخطار المحدقة بنا جميعا وأن نعيد ترتيب أولوياتنا واهتماماتنا تبعا لذلك وأن نكون أكثر شحا وبخلا عندما يكون الغرض هو تبديد طاقاتنا فى معارك موسمية يثيرها محترفو الزوابع مثل .. النقاب .. والحجاب .. وعذاب القبر .. والشفاعة .. وغيرها فى حين أنها أمور محسومة شرعاً .. قُتلت بحثا .. وصدرت فيها عشرات الفتاوى .. ومن يريد المزيد من المعرفة فعليه بعلماء الدين وما أكثرهم .

ألا هل بلغت .

د . أيمن منصور

د . صلاح عز

قراءة مؤلمة فيما بين سطور بيان خطير

خاص : المختار الإسلامى

كان رد فعل مختلف الأوساط الموضوعية على بيان الرئيس بوش الذى ألقاه ٦/٢٤ ، هو الانزعاج الشديد من انعدام التوازن فيه ، حيث اتسم بالقسوة فى وضوحه وكشفه للحقائق .

فلم يكن مجرد "ترديد ببغائى لمطالب شارون" ـ على حد تعبير المراسل الإنجليزى روبرت فيسك ـ وإنما كان أيضا رد فعل طبيعى على ما أصاب العرب بعد الاجتياح الإسرائيلى (من خمود الشارع العربى ، إلى هوس الأنظمة حصرا بأمن وسلامة عرفات ، إلى الابتذال فى مسالمة إسرائيل ، إلى الانهزام النفسى تحت ضغط الجبروت العسكرى الشارونى ، ومن ثمّ الانصياع لمطلب إدانة العمليات الاستشهادية ووقف الانتفاضة ، ثم أخيرا الرفض المهزوز لمصطلح "الدولة المشروطة" المهين) . إن الملامح الأساسية فى بيان بوش تتسم بالشيطانية ، ويمكن إجمالها فى النقاط التالية :

أولا : تحطيم وهم "الأرض مقابل السلام "

فمنذ مؤتمر مدريد والعرب يظنون أن هذا الشعار يعنى الأرض لهم مقابل السلام لإسرائيل .. وعلى هذا الأساس جاءت مبادرة قمة بيروت الأخيرة التى قوبلت بلا مبالاة أميركية ورفض إسرائيلى ، والتى أعلنوا من خلالها نيتهم بشأن التطبيع الكامل على الرغم من التيقن من أنه لن يكون هناك إعلان نية مقابل من إسرائيل بشأن الانسحاب .

كان هذا الإعلان إذن بمثابة تنازل مجانى آخر ، ولا يغير من حقيقته تلك كونه مشروطا بانسحاب إسرائيلى ، لأن ما يهتم به الأعداء فى النيات المعلنة هو مدى ما تكشف عنه من استعداد نفسى للتورط فى فعل معين . فعلى

أســاس هذا الاســتــعــداد يتم رسم الخطط وتصعيد الضغوط .

وبينما كان رد إسرائيل على المبادرة هو اجتياح الضفة ، جاء رد أميركا في بيان بوش معلنا موتها (بعد أن أدت غرضها بإعلان النية المجاني) عندما أوضح للجميع - بسكوته عن الاستيطان وإعلان التأييد لإعادة احتلال الضفة - أن إسرائيل لها الأرض بلا نقاش ، والعرب لهم السلام بشروط . من أهم هذه الشروط "محاربة الإرهاب" ، ووضع نهاية لـ "التحريض على العنف في وسائل الإعلام العربية الرسمية". بتعبير آخر، المطلوب من العرب هو أن يساعدوا على تثبيت الاحتلال في هدوء ، ويستسلموا له بوأد ثقافة المقاومة. وهكذا لم يشفع لهم جنوحهم للسلم بمبادرات سرية وعلنية طوال نصف قرن مع عدو له ثوابت يتحايل بكل السبل لترسيخها.

فاليوم - على خلفية ١١سبتمبر- العرب أشرار لأنهم "يطلبون السلام للتغطية على إرهابهم وأهداف أخرى" ، والإسرائيليون هم الأخيار لأنهم يمارسون الحرب ضد "الإرهاب".

إذن انقلبت الصورة بعد بيان بوش - أو لنقل اتضحت إلى درجة مؤلمة - فأصبحت

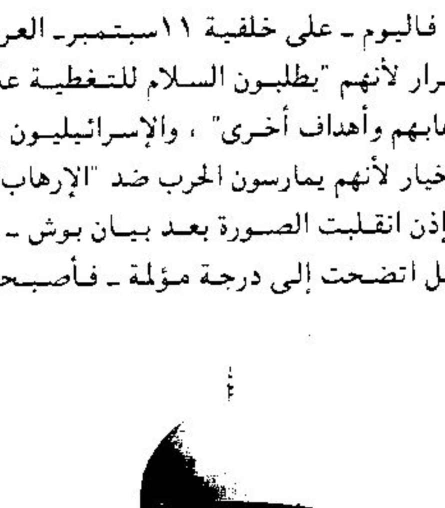

كالتالي : العرب هم الذين يتسولون السلام ، ولن ينالونه إلا على حساب الأرض والكرامة والمقدسات .

ثانيا : التمهيد لخيار "الترانسفير "

منذ قيام إسرائيل ، والصهاينة يستخدمون تكتيك واحد بعدة تخريجات لخلق وتثبيت حقائق جديدة ، والتمهيد لخطوات أخرى على طريق المشروع الصهيوني .. هذا التكتيك يقوم أولا على فرض قرارات وشروط تعجيزية حتى إذا رفضت ، يكون الرفض ذريعة لإجراءات عدوانية تفاقم مأزق العرب ، وثانيا على تجاهل سياسي ووأد إعلامي لأي مبادرات عربية سلمية يمكن أن تعيق مخططات المشروع وتفضح الخرافات المراد تثبيتها إعلاميا في العقل الجمعي الغربي، وثالثا على ارتكاب جرائم تستدرج أعمال مقاومة يمكن استغلالها إعلاميا . فرضوا قرار التقسيم الذي كان من البديهي أن يرفضه العرب لأسباب معروفة ، فاتُخذ هذا الرفض ، وما زال حتى اليوم ، ذريعة للتوسع ، وأداة لإطلاق أكاذيب دعائية عن سعي العرب لإلقاء إسرائيل في البحر .

وقدم إيهود باراك عرضا هزليا في كامب دافيد كان من البديهي أن يرفضه عرفات ، فاتُخذ الرفض ذريعة لاستفزاز الفلسطينيين إلى أحداث عنف ، وأداة تبرر إعلاميا إعادة احتلال الضفة وإطلاق يد شارون في الدم الفلسطيني .

ثم أخيرا قدم بوش في بيانه عرضا تعجيزيا آخر للفلسطينيين يطالبهم فيه بتغيير قيادتهم

الشرعية دون أن يقدم لهم أى حافز يمكنهم من ذلك ، ويتعهد بإقامة دولة دون أن يضمن لهم أنها ستختلف عن رؤية شارون لها . والمؤكد أن شارون سيسعى لاستغلال عجز الفلسطينيين عن تنفيذ إملاءات بوش المفرطة فى الإهانة وإصرارهم على المقاومة كذريعة لطرد وترحيل فلسطينيى الضفة . وقد بدأ بالفعل فى ترحيل عائلات الاستشهاديين لإعداد العالم نفسيا لما هو قادم .

من كان يتصور عندما هدد شارون فى بداية حكمه باجتياح الضفة (خطة "جهنم") أنه سيفعلها ، أو أن الغرب يمكن أن يسمح له بذلك ؟.. وحتى شهور قليلة ، كان اجتياح الضفة ومحاصرة عرفات وقصف مقره ، أمور يصعب تخيل وقوعها .

غير أنه اليوم فى ظل توظيف صهيونى ناجح لواقعة ١١ سبتمبر، وشلل عربى إسلامى شبه كامل ، وتصعيد مدروس فى جرعات العنف يكيف الرأى العام نفسيا ـ بمساعدة آلة الدعاية الأمريكية وتبرير البيت الأبيض سياسيا ـ على تقبل إجراءات معينة كانت تعتبر من المحرمات ، أصبح فى إمكان شارون أن يفعل بالعرب ما يشاء

كانت لهجة البيان المتعجرفة ، التى استهان بها بوش بالشعب الفلسطينى ذاته ، عنصرا أساسيا فى تصعيد الحرب النفسية ضد هذا الشعب ، والتى تستهدف تجاوز جميع الخطوط الحمر فى التعامل معه ، استعدادا على الأرجح لتجاوز الخط الأخير والأصعب .

فمنذ فترة طويلة ، وخيار الطرد (الترانسفير) تجرى مناقشته فى الإعلام الأمريكى والإسرائيلى .. وصدرت تصريحات من أعضاء بالكونجرس واستطلاعات رأى ومقالات صحفية تروج بقوة لهذا الخيار كحل أخير للمشكلة الفلسطينية (على غرار حل هتلر الأخير لـ "المشكلة اليهودية") .

هذا التداول الإعلامى هدفه الترويج للمسألة وتكييف الرأى العام العالمى بشأنها ، كما هو الحال بالنسبة لمسألة الغزو الامريكى للعراق المتداولة أيضا إعلاميا منذ فترة طويلة . والواضح أن إطالة فترة التمهيد الإعلامى تستهدف ليس فقط إعداد الرأى العام الغربى لالتزام موقف سلبى إزاءها ـ كما هو الحال الآن إزاء عودة الاحتلال للضفة وروتين القتل والتدمير والحصار والتجويع اليومى ـ وإنما الأهم هو تكييف العرب نفسيا للتخفيف من آثار صدمة ما هو قادم فى العراق وفلسطين.

ثالثا : فرض سقف توقعات جديد

كانت صياغة البيان بارعة بتشديدها على إزاحة القيادة الفلسطينية دون ذكر عرفات بالإسم .. فحصر القضية فى شخص عرفات يضع قيدا جديدا على سقف توقعات السلطة الفلسطينية والأنظمة العربية لفترة طويلة قادمة ، ويفرض على الجميع هما إضافيا يدفعهم إلى تعديل أولوياتهم والسكوت عن القضايا الأهم . أما عدم ذكر عرفات بالإسم ، فيبقى على أمله فى البقاء فى الحكم ، وعلى أمل القادة العرب فى تجنب سابقة خطيرة ، وعلى أمل الأمريكيين أنفسهم فى أن يتبين

عرفات وأقرانه عدم جدوى الصمود والمقاومة ، وبالتالي يرضخون لشروط شارون .

وعلى الرغم من كل ما صدر عن الأمريكيين ضد عرفات من تهديد ووعيد، ومن خيبة أمل الصهاينة فيه لفشله في حفظ أمن إسرائيل ، فإن الواقع يقول أنه لا يوجد لديهم بديل أفضل منه يستطيع أولا أن يبقى على نظام حكم الرجل الواحد ، الذي هو أحد أهم أسباب العجز والتخلف العربيين ، وثانيا أن يقدم ما يتلاءم مع سقف توقعات شارون الجديد الذي رفعه البيان الأمريكي إلى مستوى لا سابقة له (كتب أمنون روبنشتاين في الاندبندنت أن امتداح الحكام العرب لبيان بوش رفع معنويات الإسرائيليين) . هذا ومن الواضح أيضا أن أحد أهم أهداف الإملاءات المستحيلة في البيان هو تخفيض سقف توقعات الشعب الفلسطيني إلى مستويات مريعة حتى إذا تقرر مستقبلا الارتفاع عنها قليلا ، يتم تصوير ذلك وكأنه منّة أمريكية على الفلسطينيين ، وفرصة لا تتكرر .

رابعا : إطلاق العد التنازلي لضرب العراق

كتب ب.هـ. ليوتا في نشرة كلية الحرب التابعة للجيش الأمريكي محذرا من "الأعداء الذين يستهدفون ليس قدرات أميركا العسكرية وإنما ـ ضمن أشياء أخرى ـ عملية صنع القرار المرتبطة بالأمن القومي" ، ويضيف مستشهدا بقول هندي مأثور: "إن أفضل وسيلة لقتل النمر هي تشتيت انتباهه من عدة اتجاهات حتى يحاول أن يجري في جميع الاتجاهات في وقت واحد". المقصود بالنمر طبعا هي الولايات المتحدة ، والقاتل هو صدام حسين وأسلحته اللاتقليدية المزعومة. أما مصادر التشتيت فهي شكاوى العرب والفلسطينيين من الاحتلال وعملياتهم الإرهابية. وما حققه بيان بوش ـ بإطلاق الوحش الإسرائيلي على الفلسطينيين وإلقاء مسؤولية حدوث أي تقدم على عاتق الطرف الفلسطيني وحده ـ هو تطويق مصادر التشتيت ، وإطلاق حرية حركة الإدارة للتحضير لغزو العراق . وعندما ينجحون في تغيير النظام العراقي ، على حد تعبير كاتب الاندبندنت بروس أندرسون عن الرؤية الأمريكية للحل النهائي ، "سيُفتح الطريق أمام قوى الاعتدال في المنطقة ، وعندئذ فقط سيكون السلام الإسرائيلي الفلسطيني ممكنا على أساس الأمر الواقع القائم على الأرض وليس على أساس المظالم التاريخية". بتعبير آخر، فإن خطة بوش تقوم على إفساح الطريق لـ"قوى الاعتدال العربية" حتى تقدم للفلسطينيين دولة على الفتات المتبقى من أرضهم في ظل واقع شارون "القائم على الأرض".

خامسا : إبتزاز العرب بالديمقراطية

إصرار البيان على دمقرطة السلطة الفلسطينية هو العصا الأمريكية التي تشارك العصا الإسرائيلية مهمة إنزال العقاب اللازم بعرفات لرفضه العمل كعميل للأمن الإسرائيلي ، وبالحكام العرب لتشجيعهم

عرفات على الصمود فى قمة كامب دافيد منذ عامين . فالديمقراطية عند الأنظمة العربية سم زعاف وعلقم مرّ ، يعتقد الأمريكيون أنه يكفى التلويح بها للحصول على التنازلات المطلوبة . ولذا لم يطالب أحد عرفات طوال سنوات أوسلو - عندما كانت السلطة مطيعة تنفذ المتوقع منها - بإجراء إصلاحات ووضع حد لانتهاك حقوق الانسان والحريات السياسية ولم يكن غريبا تصريح شيمون بيريز فى الكنيست : "لو أن السلطة كافحت الإرهاب لما طالبها أحد بالديمقراطية ."

التلويح بالديمقراطية ساهم - كما جاء فى كتابات أمريكية - فى إضافة الإهانة للجرح بلفت أنظارنا وأنظار العالم إلى "عادة العرب القبيحة التى تمنح الحاكم حصانة من المحاسبة والنقد وتداول السلطة ، حيث لا يوجد رقم ٢ فى أى دولة عربية" ، وأن دمقرطة فلسطين "ستكون مصدر حسد العرب فى كل مكان لأنها ستفرز مجتمع ديمقراطى بإنتخابات نظيفة واقتصاد متألق، وهى أشياء لا وجود لها فى العالم العربى الذى يلقى بالديمقراطيين فى السجون ولا يرحل فيه الحكام إلا بالموت أو الانقلاب".

لم تكن مصادفة إذن أن يعطى بوش فى بيانه دورا أساسيا لعدد من الدول العربية فى "عملية تعديل الساحة الفلسطينية وإعدادها أمنيا للتعامل مع الأوضاع الجديدة". فالهدف هو أن يقوم العرب بما عجز عنه عرفات فيما يتعلق بالانتفاضة و"الإرهاب" ، وأن تتكلل جهودهم بالنجاح حتى لا يُنظر إليهم باعتبارهم ، مثل عرفات ، "معدومى القيمة" وحتى يتجنبوا حملات إعلامية ضدهم تطالب بالديمقراطية "حتى لا يتحول الإحباط العربى إزاء الولايات المتحدة إلى عمليات إرهابية" ، و بـ "إنقاذ العرب من الأوتوقراط الفاسدين كما أنقذت أميركا العالم من الشيوعية" ، وبأن "تفرض الولايات المتحدة أقصى درجات الضغط على هذه الأنظمة حتى تقيم الديمقراطية ".

خاتمة

لقد نجح الصهاينة فى توظيف الحرب الأمريكية ضد إرهاب ١١ سبتمبر لمساعدتها على إنجاز ما عجزت هى عنه : وقف الانتفاضة ، فحولوا المعركة بين الاحتلال والمقاومة إلى معركة بين الغرب و"الإرهاب" . وبعد نصف قرن من فشل إسرائيل فى تحقيق انتصار حاسم على العرب ، وانتزاع اعتراف أصيل منهم بشرعية وجودها ، تسعى الآن إلى تجنيد العالم كله ، وكل من يمكن ابتزازه من العرب ، لخوض صراع حضارى شامل يمكنها من تحقيق هذا الانتصار الحاسم . ومن هنا يمكن تفهم دوافع حملة بث الكراهية الإعلامية الشرسة ضد العرب والمسلمين . ولا جدال فى أن بيان بوش ، إذا لم يجد من يصمد فى مواجهة أهدافه الشيطانية ، يشكل قوة دفع هائلة لهذا الصراع لن يكون من السهل كبحها عندما يتضح بعد فوات الأوان للمسالمين والراضخين فى أمة العرب أن الكارثة ستعم الجميع .

د . صلاح عز

الرعب القائم !!..

أكتب إليك أيها القارئ فى قضية لا تهمك على الإطلاق .. يمكنك أن تعرض عنها على الفور.. وأن تنتقل لقراءة مقال آخر تجد فيه ما يهمك أو ما يلهيك أو ما يسليك ..

قضية لا تهمك.. ومع ذلك فقد تموت غدا بدليل يستقى منها .. أو بقانون يعتمد عليها .

قد .. وقد هذه تعنى شكا .. أما اليقين الذى لا شك فيه فهو إذلالك وإهدار كرامتك وسحق مشاعرك وتشريد أهلك واحتلال أوطانك وتسفيه دينك.. وكل ذلك بسبب هذه القضية التى لا تهمك على الإطلاق ..

ولنبدأ طرح القضية التى نقلها إلينا الحداثيون والعلمانيون وأدعياء الثقافة والتنوير من عباد الغرب والشيطان .. والقضية قضية لغوية .. وهى تنحصر فى التساؤل عن العلاقة بين اللفظ ومعناه أو كما يقول الحداثيون : العلاقة بين الدال والمدلول، ثم يتطور السؤال إلى : هل سبق اللفظ المعنى أم سبق المعنى اللفظ؟!!.. ما هى العلاقة بين الصوت الذى ينطلق من الحنجرة واللسان والفم وبين ما يعبر عنه هذا الصوت .. هل وجدت الأشياء أولا ثم أطلقت عليها الأسماء؟.. ولماذا إذن لا تتشابه الأسماء فى اللغات جميعا ؟.. أم أن اللغة وجدت أولا بحيث إن مدلول اللفظ يكون كامنا فيه ؟..

د. محمد عباس

ألم أقل لك منذ البداية أنها قضية لا تهمك .. لكننى سأستميح عذرك لأستبيح صبرك ..

ودعنى أطرح عليك هذا السؤال الذى يطرحه جهابذة عباد الشيطان :

لو أن الناس جميعا اتفقوا على إطلاق اسم: "لكب" على الكلب، هل كانت صفات الكلب ستتغير ؟.. أو أنهم أطلقوا اسم : "رشجة" على الشجرة .. أو أى اسم آخر .. لو أنهم سموها : "ذئبا " أو "كلبا" أو "ماء" فهل كان الأمر سيختلف ؟.. ثم : هل تمثل كلمة "الشجرة" الشجرة نفسها ، أم أنها تعنى غيابها ؟.. تعنى أننا عجزنا عن الإتيان بالشجرة فأتينا بكلمة بدلا منها، وبهذا يتضافر الحضور والغياب .. ويصل هؤلاء إلى أن الناس اتفقت اعتباطيا على معنى كل لفظ، و أنه لا توجد علاقة على الإطلاق بين اللفظ ومعناه .. وأن المجتمعات البشرية هى التى أعطت المعنى لكل لفظ .

لن نسوق إليهم الآن حجتنا اليقينية أن الله سبحانه وتعالى علم آدم الأسماء كلها .. هم أقل وأضأل من أن نسوق إليهم دليلا من القرآن الكريم .. ثم أننا نريد أن نكشف منطقهم من خلال منطقهم ذاته .

الفصل بين اللفظ ومعناه، أو بين الدال والمدلول كان بدايات أفكار البنيوية والتفكيكية التى انتشرت فى بدايات القرن العشرين على يد فلاسفة الغرب مثل دريدا وسوسير ورولان بارت وجاك كوهين وياكوبسون وغيرهم .. بدأت بفصم عرى لا يتصور أن تنفصم، لكن هذا الانفصام كان نتيجة حتمية للفلسفة الإلحادية، ذلك أن الإنسان لا يتبوأ مكانه السامى إلا بإيمانه بالله .. فإذا فقد الإيمان بالله ضاع، وتحول إلى مجرد حيوان، ووجب علينا أن نناقش الأصوات المنطلقة منه- من الحيوان- ولكان منطقيا أن نشك فيما إذا كانت هذه الأصوات المختلفة تعبر عن أى معنى .

كان منطقيا أن يتلو الكفر بالله الكفر بالإنسان أيضا .. ليكون مجرد حيوان ..

وكان منطقيا أن تسقط كل القيم .. فالقيم لا تستمد قيمتها إلا من الله ومن كتبه ومن رسله .. وإلا فماذا يجعل الصدق خيرا وهو قد يضر ؟.. وماذا يجعل الكذب شرا وهو قد يفيد .. وماذا يجعل القتل جريمة وانتهاك الأعراض عارا والظلم سبّة ؟..

أدى الكفر بالله، وجحود نعمته علينا بتعليمنا الأسماء، إلى فصم العرى بين اللفظ ومعناه .. لكن الأمر لم يتوقف عند هذا

الحد.. لأن الحضارة المادية الملحدة التى عبدت المادة والعلم والعقل من دون الله ما لبثت أن اكتشفت قصورها جميعا وعجزها عن تلبية احتياجات الإنسان أو تقليل شقائه .

وهكذا أدت الفلسفات الإلحادية فى النهاية إلى سقوط الأرباب التى اتبعها أسلافهم فى القرن التاسع عشر لعبادتها من دون الله : المادة والعلم والعقل .

ولقد أدت العملية التفكيكية فى نهايتها إلى تجاوز الكفر بعالم الغيب إلى الكفر بعالم الشهادة !!.. وسيطرت الفلسفة الألمانية وتكفلت ظاهرية هوسيرل وتأويلية هايدجر وجادامر برفض أى سلطات مرجعية، وكما يعبرون هم فقد انفرط عقد العالم بعد أن فقد كل شئ الإحالة إلى مرجع ثابت وموثوق به .

يرى ميشيل فوكوه أن كل عصر معرفى جديد يزيح العصر المعرفى السابق، وفى مرحلة معرفية سابقة تمت إزاحة المقدس من مركز الوجود ليحل محله العلم والعقلانية، أما فى المرحلة الأخيرة فقد أزيح العقل لتحل محله اللغة، ليصبح الشك وانعدام اليقين هو الحقيقة الوحيدة المطلقة، ويصبح لا وجود حقيقيا لأى شئ خارج إطار اللغة .

لكن اللغة نفسها مراوغة والعلاقة بين اللفظ والمعنى فيها علاقة اعتباطية ..

إذن : فقد انتهى كل شئ !!..

أعرف يا قراء أن الكلام صعب وغامض، بل أعرف أكثر من ذلك أن صعوبته لا ترجع إلى عمقه، بل إلى أنه هراء، سفسطة مجانين قد تبدو منهم هنا وهناك لمحات مبهرة كما تبدو من أى مجنون، نعم هراء أحمق مجنون يريدون منا أن نستبدله وهو الأدنى بالذى هو خير، أناس طمس الله على قلوبهم وأعمى بصائرهم فلا يفقهون، لكن المهم هنا، أن هذه الفلسفات النظرية تنجم عنها تطبيقات عملية نتلظى بنارها ونكتوى بنيرها .

الخطير فى الأمر .. الخطير جدا .. أن هذه الفلسفات والأفكار لا تدور فى فراغ .. بل إنها أشبه بدائرة التوصيلات الكهربائية والإليكترونية التى تشتريها مع أى جهاز كهربى تشتريه مع الجهاز فى كتيب يشرح تحول النظريات إلى تطبيقات .. وهو كتيب لا يفهمه إلا الخبراء، وبالنسبة للشخص العادى فإن كلماته ورسوماته أشبه بالشفرة، لذلك فما من أحد منا يراجع خرائط التوصيلات الكهربائية والإليكترونية تلك لجهاز تليفزيونه على سبيل المثال !.. إنك تقتنى الجهاز واثقا فى أن من وضع هذه الرسوم لم يخدعك من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنك غير محتاج بالضرورة لفهم تلك الرسوم والخرائط كى تستطيع تشغيل أو

مشاهدة جهازك التليفزيونى .

العلاقة يا قراء بين الفلسفات النظرية والتطبيقات العملية لها تشبه تماما ذلك المثل الذى طرحته عليكم .. تشبهه وتكاد تتطابق معه إلا فى شئ واحد .. وهو أنك لم تقتن جهازا للتلفاز بل قنبلة موقوتة ستنفجر فيك وتقتلك وتدمر بيتك وتشرد أهلك .. ومن هنا وجب عليك الرجوع إلى الرسوم لاكتشاف الخطر .

فلنتناول على سبيل المثال أحد التطبيقات العملية للفلسفة السابقة وللقضية اللغوية التى بدأنا بطرحها .. تلك القضية الغامضة المكتوبة برموز كالشفرة لا يفهمها إلا مختص.

قلنا أنه لا وجود لشىء خارج اللغة (والعبارة تبدو فى الظاهر بريئة، ويبدو أن معناها يفوق قدرتنا على الفهم، أو أنها بلا معنى، والواقع أنها بعد فك رموز شفرتها تعنى إنكار الذات الإلهية والأنبياء جميعا، كما يتضمن معناها فى ذات الوقت الكفر بالعلم والعقل) .. كما قلنا أن ارتباط المعنى باللفظ هو ارتباط اعتباطى لم يرسخه إلا اتفاق الناس عليه آمادا طويلة، وأنه لذلك يمكن أن يتغير، لكن بشرط أن نفرض قطيعة معرفية مع الماضى كله، وهذا لا يعنى إلا الكفر .

كان هذا هو رسم الدائرة الإليكترونية الغامض الصعب والآن لننتقل إلى التطبيق .

إذ يترتب على ذلك أن كلمة الشذوذ الجنسى مثلا تحمل معنى اعتباطيا لفعل كريه يحتقره الناس، لكن هذه الكراهية والاحتقار لا تنجم من الكلمة ولا من الفعل بل من اتفاق اعتباطى طال عليه الأمد حتى أصبح كالحقائق الراسخة وما هو بحقيقة وما هو راسخ، لقد اكتسبت الصفة معانيها السلبية المهيمنة المهينة عن طريق استخدامها المستمر والمتكرر لإهانة الشواذ والتنديد بهم حسب قيم دينية و أعراف اجتماعية ومنتجات ثقافية تفرض معايير معينة، وترى الكاتبة الأمريكية الشهيرة جوديت باتلر فى كتابها : "مشاكل الجنوسة" أن على الشواذ والسحاقيات أن يصفعوا المجتمع بالكلمة بصفة متكررة ومستمرة، لأنهم بذلك سينجحون فى تغيير الأعراف المتحجرة وتفكيكها وتحطيمها، وبذلك تفقد كلمة شاذ "GAY" أو سحاقية "LESBIAN" قدرتها على الإهانة، وربما يصل الأمر، كما يقول الدكتور عبد العزيز حمودة إلى استعمال هذه الصفات فى سياق المدح !!..

هل رأيتم يا قراء العلاقة بين الرسم المشفر والتطبيق ..

وهل جال بخاطرك أن هذه العبارة البريئة الموجزة : "لا وجود لشىء خارج اللغة" يمكن أن تسفر عن هذا التطبيق البشع .. إباحة الشذوذ وتمجيده ..

نحو وعى سياسى

لن نتكلم الآن عن علاقة ذلك بقيام الغرب بالضغط على الدول الإسلامية لتعيين شاذ أو رئيسة تحرير سحاقية، لن نتكلم عن ذلك فالعلاقة واضحة، لكننا نتكلم عن أمر آخر، أمر يدخل فى صميم همومنا .

ذلك أنه إن كانت تلك القضية اللغوية والخلفيات الفلسفية قادرة على قلب المعنى بهذه الطريقة، وإن كانت حققت نجاحات هائلة فى بلادهم، كما حققت نجاحا لا ينكر على أيدى الحداثيين والعلمانيين والتنويريين والتغريبيين فى بلادنا، إذا كانت قد نجحت فى ذلك، فلماذا لا تنجح أيضا فى وصم العمليات الاستشهادية بالعار والإثم الشديد، وفى اعتبار الجهاد معصية نظامهم الشيطانى الكبرى التى تستحق كل وسائل السحق والمحق .

نعم .. إن كانت قد نجحت فى ذلك فلماذا لا تنجح فى تحويل الحق إلى باطل والباطل إلى حق ..

نعم .. لم تكن تلك أفكارا هائمة فى الفراغ بل كانت رسم الدائرة الإليكترونية الجهنمية المشفرة ..

نعم .. و ما قالته جوديت باتلر فى مجال يقوله بوش فى مجال آخر .. وما نادى به دريدا يطبقه شارون ممتطيا نفس الفكرة والمنهج.

كل ذلك منطقى بمنطق الشيطان بالنسبة لهم ولتاريخهم الدينى والسياسى والاجتماعى .. لكنه بالنسبة لنا كارثة ومصيبة وداهية وخيانة للأمة وتفتيت لها، فلماذا ساقنا حداثيونا إلى هذا المنعطف الوعر .

يقولها فلاسفة الغرب بوضوح أنه لا سبيل للتقدم إلا بالقطيعة المطلقة مع التراث، أما كتابنا الجهابذة كأدونيس وجابر عصفور والغذامى وكمال أبو ديب ، وصبيانهم كصلاح عيسى والغيطانى والقعيد، وكل كتاب السلطة، فيرون أن مجتمعاتنا لم تنضج النضج الكافى بعد، لذلك فهم يراوغون بل يكذبون - فى إيصال المعنى إلينا .. وبدلا من تلك الجملة الصريحة الواضحة القاطعة الناطقة بالكفر فإن الحداثيين فى عالمنا الإسلامى يستعملون جملا أخرى من نوع : "تحطيم القوالب المتحجرة الثابتة لمنظومة القيم البالية" .. وما يقصدون إلا القرآن والسنة .. إلا الإسلام .

يصرخ الدكتور عبد العزيز حمودة فى كتابه المرايا المقعرة : إن هذا هو الرعب القادم، بل الرعب القائم، رعب فقدان الهوية كلها.. رعب ينتقل بنا من تفكيك اللغة إلى تفكيك الوطن .. ومن سيولة الأفكار إلى انهيار الأمم .. رعب التلاشى والفناء، تحت وطأة ضربات ساحقة غادرة .. بالتآمر مع حداثيينا ..

نعم ..

هذا ما أريد أن أصل إليه ..

كان الحداثيون عندنا منذ زمان طويل يمهدوننا لتقبل منهج غريب علينا ، منهج شاذ وخطر، نبت من فلسفات شاذة ومريضة، كافرة ملحدة، ليس بالله فقط، بل بالإنسان أيضا ، فلسفات ليس لها مبادئ ولا قيم، فلسفات لا تعرف العقل ولا المنطق، ولم تسمع عن العدل والرحمة والإنصاف، فلسفات لم تقتصر على التعامل مع الإنسان كحيوان بل كشيطان مريد .. فلسفات مجرمة أنبتت شخصيات مجرمة كشارون وبوش ..

لم تكن وظيفة حداثيينا إلا تلك .. وما منحوا الشهرة والمجد والانتشار الذائع إلا من أجل أن يقوموا بهذا الدور.. وكانت المخابرات الأمريكية هي التي تمول كل ذلك لكن هذا موضوع مقال قادم .

كان الإسلام هو العقبة الكئود أمام الحداثة

.. وكان عليهم أن يفرضوا القطيعة بيننا وبينه كي ينفردوا بنا ..

تلك القطيعة كانت تهم الغرب للسيطرة علينا .. كما كانت تهم حكامنا أيما اهتمام .. ذلك أنها كانت تعفيهم من المسئولية التى وضعها الناموس الإلهى لضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم .

فى الكتاب الذى تعرضت له فى المقال الماضى : "حصوننا مهددة من داخلها" يكشف الدكتور محمد محمد حسين أمر الحداثيين والعلمانيين والمستغربين ودعاة التنوير والثقافة، يكشف دسائسهم التى يلقون عليها حجبا كثيفة من الرياء.. والنفاق، حين يندسون بين صفوف الأمة، يتظاهرون بالغيرة على إسلامنا وعلى عروبتنا ، حين تنطوى ضمائرهم على فساد العقيدة وحين يعملون لحساب العدو الذى يستعبدنا ولحساب الصهيونية الهدامة التى لا تريد أن تبقى على بناء قديم .

يصرخ الدكتور محمد حسين : هؤلاء هم أخطر الأعداء، وهم أول ما ينبغي البدء به في تطهير الحصون وتنظيف الدار ، لأن الأعداء والمارقين ظاهر أمرهم لا يخفون، وهم خليقون أن ينفروا الناس ، فهم كالمريض الظاهر يتحاشاه الناس ولا يقتربون منه .. أما هؤلاء فهم كالمريض الذى لا يظهر المرض على بدنه، فالمخالطون لا يحتاطون لأنفسهم فى مخالطته .

ويتهم الدكتور حسين أعداء الأمة هؤلاء من المنافقين والضالين والمضللين بأنهم يزينون للأمة الباطل زاعمين لها أنه هو سبيل النهضة ويوهمونها أن كثيرا من عاداتها الصحيحة الأصيلة هي من أسباب تخلفها وضعفها ، ويزجون بها فيما رسمته عصابتهم من قبل وما قدرته من طرق ومسالك .

ويستطرد الدكتور حسين فى مرارة عاتية :

"وأنبه إلى ما انكشف لى من أهدافهم وأساليبهم التى خدعت بها أنا نفسى حينا من الزمان مع المخدوعين ، أسأل الله أن يغفر لى فيه ما سبق به اللسان .. والقلم .. وإن مد الله فى عمرى رجوت أن أصلح بعض ما أفسدت مما أصبح الآن فى أيدى القراء" .

وقد كان مصابى هذا فى نفسى وفى تفكيرى مما يجعلنى أقوى الناس إحساسا بالكارثة التى يتردى فيها ضحايا هؤلاء المفسدين ، وأشدهم رغبة فى إنقاذهم منها ، بالكشف عما خفى من أساليب الهدامين وشراكهم ..(..)

ويكشف الدكتور حسين أن هؤلاء المنافقين قد اشتراهم الغرب كى يكونوا حراسا على أوطاننا التى حولوها إلى سجون .. فيقيموا فيها معبدا يسبح كهنته بحمد آلهتهم التى يعبدونها من دون الله .. وينكل بالذين ينبهون النائمين والغافلين والمخدوعين ..

تحت رعاية الحداثيين -عبدة الشيطان- كنا ننتقل من الإيمان إلى الكفر تحدونا سياط حداثيينا قبل سياط جلادينا وقبل سياط شارون وبوش .. كانوا يقيمون دعائم مملكة الكفر .. وكانوا قد تسلحوا بمقولة قاطعة خدعوا بها الأمة فاستجابت أو رضخت .. ذلك أنهم وهم يقيمون مملكة الكفر منعونا من استعمال السلاح الوحيد الذى كان يمكن أن يحمينا من مكرهم .. ألا وهو الحكم عليهم بالكفر .. وأصبح التكفير رجعية وتخلفا، وأصبح التخلف جمودا، وأصبح الجمود أصولية، وأصبحت الأصولية تطرفا وأصبح التطرف إرهابا.. وأصبح الاستشهاد انتحارا كما أصبح الطفل الذى يحمل حجرا يهدد الأمن والسلام العالميين أما استخدام الطائرات والدبابات فى سحق المدنيين فهو دفاع مشروع عن النفس .

لكن.. لماذا نرفض كل ذلك وقد اقتنعنا من قبل بالقطيعة مع التراث .. وباعتباطية العلاقة بين اللفظ والمعنى ؟!!..

إننى أريد أن أعود هنا إلى نقطة هامة .. وهى أن القارئ العادى، وحتى المثقف، عندما يقرأ شيئا من تلك الأبحاث التى يروجها الحداثيون كقضايا لغوية أو فكرية أو فلسفية، فإنه فى أغلب الأحوال ينصرف عنها، تحت

راية أنه علم لا ينفع وجهل لا يضر، فإذا حاول الفهم، فإنه فى أغلب الأحوال لن ينجح فى الفهم، ليس لقصور فى عقله، ولكن لأن الحداثيين فى بلادنا كما ذكرت يكذبون، يتحدثون بمنطق العصابات التى تتحدث بشفرة لا يفهمها إلا أفراد العصابة، فإذا حدث أن سمع حديثهم شخص من خارج العصابة فإنه لن يفهم أبدا ما يعنونه .. هذه الآلية الخبيثة المجرمة تمكنهم من التسلل إلى قلب الأمة كما يتسلل الصدأ إلى الحديد .. فى سرية، وفى خفاء، دون إعلان، ودون فهم، ويستمر الأمر على ذلك المنوال حتى ينهار البناء فجأة.

تعامل الحداثيون فى بلادنا مع القراء كما تعامل الباطل مع الحق فى القصة الشعبية المتوارثة المشهورة .. حين كان الحق والباطل على سفر وكانا لا يملكان إلا بعيرا واحدا فاختلفا على من يركبه .. واتفقا على

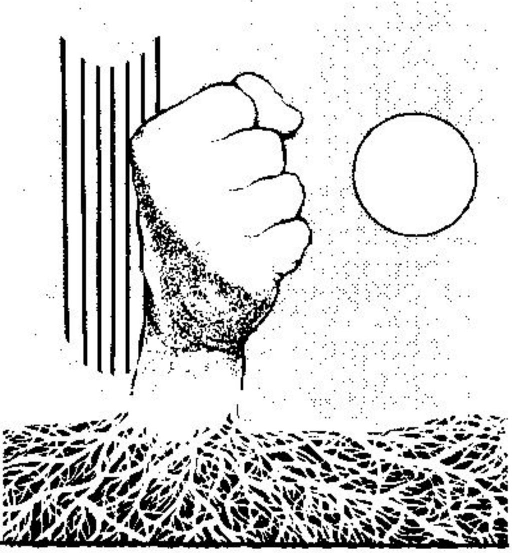

الاحتكام إلى أول من يلتقيان به .. وظلا يسيران حتى لقيا رجلا سليم النية خالى الطوية تماما كقرائنا وهنا سارع الباطل إليه ليسأله :

ما رأيكم يا شيخنا : من الذى يمشى .. الحق أم الباطل ؟..

وأجاب الرجل على الفور:

طبعا الحق هو الذى يمشى !!..

وخسر الحق القضية !!..

خسر الحق القضية كما خسرتها الأمة حين حكم الحداثيون عليها بأن الغرب هو الذى يركب والإسلام هو الذى "يمشى" !!..

نعم .. تعامل حداثيونا مع الأمة بهذه الطريقة .. وأخفوا عنها طول الوقت الخلفيات الفلسفية الإلحادية لفكرهم وللقضايا التى يطرحونها ، بل تعمدوا الكذب الصريح والتضليل الواضح فى أحيان كثيرة، تعمدوها مثلا عندما خلطوا ما بين الحداثة كفلسفة كافرة مجرمة علينا أن نحاربها جميعا، وبين التحديث كهدف علينا أن نسعى جميعا إليه وتعمدوها عند الخلط ما بين العلمانية والعلم وبين التشريع الإلهى والبشرى .. وبين التحرير والتعهير .. وبين التنوير والتزوير ..

كانت السلطة تساعدهم وكان الغرب يسيدهم كما يسيد العدو كل خائن لأمته : قارنوا مثلا الفارق فى التعامل من السلطة ومن الغرب معا مع شخصيتين : مع الشيخ عمر عبد الرحمن فك الله أسره والدكتور نصر حامد أبو زيد قبح الله وجهه .

كان الاستثناء الهائل الذى زلزل الحداثيين هو القضية التى عرفت بأزمة الوليمة .. كانت كالدخان الذى يخرج الثعالب من الجحور .. وربما تقبع القيمة الحقيقية لهذه القضية، فى أنها كشفت للناس الشفرة التى يستعملها الحداثيون، جعلتهم يتحدثون إلى الناس بنفس الألفاظ التى يتحدثون بها إلى بعضهم البعض "ب أفراد العصابة .. وهكذا تم كشفهم ـتشاف الكامل والنهائى .. ووضحت للناس أن ما يحملونه فرحين ليس جهاز تلفاز أو لعبة إليكترونية سيسعدون بها بل لغما شديد الانفجار سيدمرهم .. أسقطت تلك القضية الأقنعة عن الوجوه الشائهة .. وأدرك الناس لأول مرة أن حرية الفكر لم تكن تعنى أبدا حرية الفكر .. ولا حتى حرية الكفر .. بل كانت تعنى التآمر على إيمان الناس وتحويلهم إلى الكفر .. ومن لم يتحول أبيح دمه .

وفهم الناس لأول مرة أن الإبداع يعنى أشد الألفاظ بذاءة وسوقية .. وأن الإبداع يزيد كلما وجهت هذه الألفاظ البذيئة والسوقية إلى مقدساتنا .. فإذا وصل الأمر إلى سب الذات الإلهية والسخرية من الرسول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، و إلى إهانة القرآن الكريم فقد وصل إلى عالم الذرى .

أدرك الناس المعنى وفهموا الشفرة واكتشفوا أنهم لا يتعاملون مع مبدعين ولا مفكرين ولا فلاسفة و إنما مع حثالة بشرية مرتدة خائنة وعميلة وسافلة ومنحطة .

بعد هذا الانفجار توالت الاكتشافات ..

وكما سقط العقل والعلم والمادة فى عالم الحداثيين راحت رموزهم تسقط رمزا خلف رمز .. فى فلسطين وأفغانستان والشيشان وكشمير و.. و.. و..

سقط وهم الديمقراطية وتبدى وجهها دون قناع كمسخ مشوه مروع ومقزز ورهيب .

سقطت فكرة العدالة البشرية عندما أسفرت عن ظلم وحشى مجنون ..

سقطت منظومة ادعاء حقوق الإنسان عندما سحقت حقوق الإنسان بمباركة فلاسفة العالم ومنظماته الدولية .

سقطت المنظومة الغربية كلها تحت حوافر الغبى المجنون جورج بوش، وهو يبيح لنفسه ما حرمه الله سبحانه وتعالى على نفسه، الظلم، نعم سقطت المنظومة والمجنون الغبى يعلن الحرب على الإسلام ويريد منا تعديل القرآن إن لم يمكن إلغاؤه، سقطت والغبى المجنون يعتبر الوحشية رقيا والقتل تحضرا، والاستهانة بأرواح مئات الآلاف حضارة، سقطت والغبى المجنون يدعم السارق ضد المسروق منه، والجلاد ضد ضحيته، وأيقظ

الغبى المجنون ما كانت آلات إعلامهم الجبارة قد نجحت فى إيهام العالم به من أن القيم البشرية المطلقة قد حلت محل المقدسات جميعا.

والغبى المجنون اعتبر العالم معرضا للخزف فراح يجوس فيه ويحطم أوانيه، تصرف كقرد تسلل إلى متجر فراح يبدل أماكن لافتات الأسماء دون أن يبدل معها الأشياء فإذا الشجاعة جبن وإذا الجبن شجاعة وإذا الديموقراطية ذات أنياب، وإذا الشجرة "رشجة" و إذا الكلب "لكب أو بكل !!..

لقد علم الله آدم الأسماء كلها وهذا الغبى المجنون على رأس صف طويل من الحداثيين يحسبون أنهم قادرون على تغيير تلك الأسماء التى علمناها الله .. والغبى المجنون لا يفهم أنه ليس له إلى ذلك من سبيل إلا إذا استطاع أن يأتى من المغرب بالشمس التى يأتى بها الله من المشرق .

نعم فى خلال ثلاثة أعوام سقط ما ظل الغرب وحداثيونا يضللونا به ثلاثة قرون ..

يعترينى الرعب و أنا أتأمل حكمة ربى سبحانه وتعالى ..

هل كان يمكننا بمجهودنا ولو أنفقنا كل ما نملك أن نكشف زيف الغرب وخيانة عصابة الحداثيين كما حدث فى الأعوام الثلاثة الأخيرة .. والمعجز أن هذا الكشف والتعرية قد تمت بأفعال الغرب نفسه وبيد الحداثيين أنفسهم .. ابتداء بالوليمة ومرورا بأفغانستان وانتهاء بفلسطين .. حين جعل الله كشفهم فى فعلهم وهو القادر على أن يجعل تدميرهم فى تدبيرهم .

يا قراء: إن ما يفعله بوش وشارون ليست مجرد تصرفات مجنون فقد عقله و إنما هى النتيجة لفكر شاذ وفلسفات مريضة وأفكار مجرمة تعتمد كلها على الكفر بالله ..

ونفس هذا الفكر الشاذ والفلسفات المريضة والأفكار المجرمة هى تماما ما راح حداثيونا ينشرونها فى أمتنا كالوباء ..

نعم يا قراء .. خدعنا الحداثيون وخانونا ولم يكونوا يناقشون قضايا : العلم فيها لا ينفع والجهل بها لا يضر ..

لقد تآمروا علينا وخانونا .. وكان المنهج الذى حاولوا ترويجه طيلة الوقت هو نفس المنهج الذى اتبع لتبرير الاستعمار والإبادة والظلم .. كما اتبع لنزع سلاح الأمة الوحيد فى المواجهة : ألا وهو عقيدتها وهويتها ..

لا تندهشوا إذن يا قراء مما يقوله شارون وبوش فحداثيونا لم يكفوا عن استعمال نفس المنهج .. والقاع الذى نهبط الآن إليه هو مكان المجزرة الذى يقودنا حداثيونا -بمنتهى الخيانة والخسة- منذ قرنين على الأقل إليها .

د . محمد عباس

حوار مع الشيخ الحبيب الجفرى

خاص : المختار الإسلامى

أجرى الحوار : أسامة عبد الحق

الداعية الإسلامى اليمنى الحبيب الجفرى يخص المختار الإسلامى :

- لا اعرف لماذا منعونى من دخول مصر
- ولا علاقة لى بالقاعدة أو الأصوليين فى اليمن
- لم أطلب وساطة أى مسئول ، ولكنى توجهت الى الله
- أتوقع كل شئ لمصيرى وليس عندى أغلى من الدين
- أخبرونى بمجرد وصولى إلى الإمارات أن المسألة حدث فيها لبس
- القاعدة لا تتواجد فى منطقتى « حضرموت » وليس لهم وجود فيها
- لا اتلقى تمويلا أجنبيا لتخريب الفن المصرى وأمران وراء إثارة ذلك
- مجالسنا مفتوحة للجميع ويحضر فيها كل التوجهات
- لا أقدم أى مال للفنانين المعتزلين ولو حدث فهذا مما لا استحى منه
- عبير صبرى هاتفتنى بعد اعتزالها وصابرين حضرت جلسات النساء
- متزوج من اثنتين .. قد أصطحب معى إحداهما

الكثيرون فى العالم العربى يعرفون الداعية اليمنى الحبيب على زين العابدين الجفرى من خلال برامجه فى القنوات التليفزيونية، وهو من أكثر الشخصيات الإسلامية إثارة للجدل خلال الفترة الأخيرة ، خصوصاً بعد قرار السلطات المصرية منعه من دخول البلاد ثم السماح له بالدخول فى اليوم التالى مباشرة.

تناول البعض هذا المنع المفاجئ خاصة أن له بيتا فى القاهرة ويتردد باستمرار عليها ، ويذيع برامجه التليفزيونية منها . هناك من قال إنه السبب فى اعتزال الفنانين والفنانات، وخاصة الموجة الاخيرة من الفنانات اللاتى كان اعتزالهن وارتدائهن الحجاب مفاجأة للكثيرين، واتهامه بالحصول على دعم مالى من جهات أجنبية لتخريب الفن المصرى، لكن الأخطر أن هناك من أوشى بوجود علاقة له بأصوليين فى اليمن !..

"المختار الاسلامى" التقت الحبيب الجفرى فى منزل والده على ضفاف نهر النيل بمحافظة الجيزة ، قبل صدور قرار السلطات الأمنية المصرية بترحيله منها ، بعد أن ذاعت شهرته وكثر أتباعه بصورة كبيرة خلال الأيام الأخيرة التى قضاها بالأراضى المصرية لتتعرف على حقيقة الاتهامات والانتقادات الموجهة له، ووضع النقاط فوق الحروف فى هذه القضايا المهمة، وفيما يلى نص الحوار..

• ما هى الأسباب الحقيقية وراء منعك من دخول مصر مؤخراً ؟..

- هذه المسألة تسأل عنها المسئولين فى مصر، فما فهمته بعد عودتى من المطار عن طريق الهاتف أن المسألة حدث فيها لبس وأنهم يرحبون بدخولى البلاد ، لذلك جئت فى اليوم التالى مباشرة .

• لكن تردد أنك اتصلت بمسئول كبير فى مصر للسماح لك بالدخول، ما حقيقة ذلك ؟..

- لم أتصل بأى شخصية مسئولة، إنما توجهت إلى الله سبحانه وتعالى، فأراد عز وجل أن يبرز أن الشر لايمكن أن يغلب على الخير عند أصحاب القرار فى مصر، فالله تعالى أراد أن يبرز للناس أن هذه البلاد فيها من الخير ونصرة الحق وإرادته ما يسكت أو يخرس كل متقول .. وبمجرد وصولى إلى الإمارات جاءنى الهاتف بأن المسألة فيها لبس، وأخبرونى أنهم حاولوا إدراكى فى المطار ولم يستطيعوا لأن الطائرة كانت قد تحركت .

• ألم يتصل أحد من أصدقائك فى القاهرة بأى مسئول للسماح بدخولك ثانية ؟..

- هذا أمر لم أطلع عليه .

تنظيم القاعدة فى اليمن

• تردد أن لتنظيم القاعدة عناصر وقيادات بارزة تقيم فى اليمن خصوصاً فى منطقة حضرموت التى تقيم فيها ، فهل هناك علاقة بين قرار منعك من دخول مصر ووجود القاعدة فى اليمن ؟..

- لم يكن لى سابق علاقة أو لقاء بأحد عناصر القاعدة فى اليمن لأن منطقتنا فى حضرموت ذات توجه بعيد عن المنحى السياسى ، كما أن القاعدة لاتتواجد فى حضرموت، ولم نر لهم وجوداً فيها من قبل.

ولا أظن بوجود علاقة بين قرار منعي من الدخول وبين علاقتي بالقاعدة، لأن الجميع يعلم أنه لاتوجد لي علاقة من أي نوع مع تنظيم القاعدة .

● وهل حضر أحد من العناصر المنتمية إلى القاعدة في المجالس التي تقيمها هناك ؟..

- مجالسنا مفتوحة للجميع ويحضر فيها كل التوجهات ممن يريد أن يستفيد، لكن فارقا كبيرا بين أن يحضر أحد إلى مجلسنا وبين أن يكون صاحب توجيه أو أثر في هذا المجلس .

الشيخ الزنداني

● وما طبيعة علاقتك بالشيخ الزنداني الأب الروحي للأصوليين في اليمن ؟..

- لم يحدث أن التقينا منفردين، إنما التقيت به ثلاث مرات فقط طوال حياتي، مرتين في مجالس دعينا إليها لإلقاء محاضرات، وكان هو أحد المدعوين فيها أيضاً، أما المرة الثالثة فكانت أثناء جنازة في صنعاء .

● هل تحدثت معه في أمور تخص تنظيم القاعدة ؟..

- لم يسبق لي الخوض في هذه المسألة معه، لأن طبيعة اللقاءات التي تمت بيننا لم تكن للتحاور أو إدارة النقاش بقدر ما كانت لإفادة الناس .

● هل تتابع نشاط تنظيم القاعدة وما يقوم به من عمليات خلال الفترة الأخيرة وما رأيك الفقهي فيها ؟..

- ما نسمعه عن القاعدة هو ما تتناوله الصحف ووسائل الإعلام الأخرى من أخبار عنهم، وهي مصادر لا تكفي للتقييم أو التعامل معها .

المجال مفتوح لي في اليمن

● نعود إلى قرار منعك من دخول مصر ونسألك، هل هناك ارتباط بين كون والدك معارضاً سياسياً للنظام الحاكم في اليمن وهذا القرار ؟..

- هذا الكلام أظنه مستبعداً، لأنه لو كان هناك أثر أو ربط بين منهجي ووضع والدي لكان من الأولى أن أمنع في اليمن، التي هي ساحة المعارضة، ولكن لتيقن السلطات اليمنية بعدم وجود أي علاقة سياسية بيني وبين والدي وعمله، المجال مفتوح بالنسبة لي للعمل في كل أرجاء اليمن .

● والدك صاحب توجه سياسي، فلماذا سلكت المنهج الديني في دعوتك ؟..

- إن الوالد انتحى التوجه السياسي عن قناعة لديه، وانتحيت هذا التوجه عن قناعة لدي، وصلتي به كأب ووالد أرقى ما تكون بفضل الله تعالى، ولو خيرت بينه وبين أب آخر لاخترته هو، ولكن التوجه الذي وجهني الله تعالى إليه أرى أنني من الممكن أن أخدم به الأمة أكثر من غيره من التوجهات .

اعتزال الفنانات

● تردد أن من أسباب قرار منعك من الدخول إقدامك على اقناع عدد من الفنانين والفنانات باعتزال العمل الفني وارتداء الحجاب، ما صحة ذلك ؟..

- الذى أظنه أن أصحاب القرار فى مصر أعقل من أن يجعلوا مثل هذا الأمر سبباً فى منع أحد من دخول البلاد ، الأمر الآخر الذى ينبغى فهمه أن مسألة اعتزال الفنانين أو غيرهم ليست من السهولة بمكان ، وهم ليسوا من الغباء بأن يضحك عليهم أحد فى جلسة ثم يقرروا ترك شئ يعد شريان حياتهم وهو الشهرة، إنما المسألة خطوات فيما بينهم وبين الله وشئون أرادها الله لهم، فقد يكون حضور مجلس أو استماع شريط هو الخطوة النهائية التى أراد الله بها أن يتخذوا هذا القرار .

● لكنك اتهمت بالسعى بقوة لاعتزال الفنانين فى مصر ؟..

- أنا لم أسع لاعتزال أحد قط، والتمثيل أو الفن لا أراه محرماً فى ذاته، الشيخ الشعراوى رحمه الله كان يقول : "الفن أو التمثيل مثل الكأس، إن شربت فيه خمراً أثمت وإن شربت فيه ماءً فهو مباح أو شربت فيه زمزماً أجرت وأثبت" ، فهو وسيلة وللوسائل حكم المقاصد، إن أحسن استخدامها نفعت ، وإن أسئ استخدامها أضرت .

● هل التمثيل فى الوقت الراهن أشبه بالكأس الذى يشرب فيه الخمر أم ماء زمزم ؟

- كثير مما يحصل فيه من الضرر ما يميزه العاقل الذى لم يتسع فى العلم، فضلاً عن غيره، وربما السائل يدرك ذلك أيضاً، فما يعرض فيه من الخطأ مما يميزه العامى من العقلاء .

● هل الفنانون الذين قرروا الاعتزال مؤخراً اقتنعوا بمجرد الفكرة أم تم تقديم وعود لهم كى يقدموا على مثل هذا القرار ؟..

- أعتقد أنه من الغباء بمكان أن يظن أحد أن من يذوق لذة الشهرة والنجومية يمكن أن يبيعها بشئ من الدراهم، فالإنسان له أطماع فى هذه الحياة، فهو يحب المال ليتمتع بواسطته بما يريد، وحب الشهرة عنده أعظم من حبه للمال، بل نجد العديد من أصحاب الأموال ينفقون الأموال الكثيرة لينالوا شيئاً من الشهرة والنجومية .

إن من الغباء بمكان أن نظن أن ممثلا أو ممثلة فى مرتبة عالية من النجاح ينسحب من قوة نجاحه وأضوائه مقابل مال يمكن أن يناله، أما الشهرة بطريق آخر، فلا أظن اليوم فى عالمنا العربى والإسلامى طريقاً أسرع من التمثيل أو الفن عموماً لتحقيق الشهرة .

● بعض الفنانين يعتبر التمثيل مورد رزقهم الوحيد، فهل تساعدهم فى ذلك عن طريق علاقاتك أو شئ من هذا القبيل ؟..

- لست صاحب شركة أو مؤسسة حتى أساعد فى هذا المجال ، ولم يكن لى فيما سبق ترتيباً مالياً لأحد من المعتزلين، ولو حدث ذلك ما كان محل تعبير أو عيب أستحى أن أذكره .

• لكن بعض الفنانين أصبح لهم برامج فى المحطات الفضائية العربية التى تسجل برامجك من خلالها ، فهل لك علاقة بذلك ؟..

- مجدى إمام هو الذى جاءنى بفكرة برنام .. خاصة وأن المنتج جاءنى فأخبرنى .. البرنامج وطلب منى الحضور مع د. أحمد عمر هاشم، فقلت هذا شرف وليس لدى مانع مادام البرنامج فيه نفع للناس، إنما ليست لى علاقة به من قبل، فنحن لا نؤمن بأن وسيلة الاغراء المادى أو إيجاد البديل المادى هى الوسيلة الصحيحة لإقناع الغير بالخير، ثانياً أنه ليست جميع أوجه الفن محرمة، فمهمتنا ليست انتزاع أو تفريغ مجتمع الفن، بل على العكس نرى أن بقاء عدد من الملتزمين الذين يحسنون الاختيار لإثابة الناس فى مجال الفن أفيد لهذا المجال وأنفع من أن يخلوا منهم فيبقى للناس الصنف الآخر فقط .

الفنانون يسعون لى

• هل يقع اختيارك على بعض الفنانين والفنانات فتبادر بالاتصال بهم أو ترسل لهم أحد الأصدقاء لهذا الغرض ؟..

- لايوجد عندنا تركيز تخصصى فى الدعوة على أساس أصحاب الشهرة أو المنزلة عند الناس، لأن الذى يجعل دعوته انتقائية بهذا المعنى تكون عليها علامات استفهام من جهة الصدق مع الله عز وجل، كما أن الله يحسن سوق من يمكن أن يخدم الدين والدعوة بتدبيره هو .

• هل معنى ذلك أنهم هم الذين يسعون لذلك بمفردهم ؟..

- نعم هم الذين يسعون، وهم الذين يصرون ويلحون وبوسعكم أن تسألوهم .

• من هم أشهر الفنانين والفنانات الذين ساهمت فى إقناعهم بالعدول عن الاستمرار فى مجال الفن ؟..

- ذكرت إننى لم أساهم فى إقناع أحد منهم حتى يعدل عن الفن ، إنما علمت أن بعضهم تحدث فى وسائل الاعلام المختلفة أن من أسباب اعتزالهم استماعهم إلى بعض أشرطة الفقير إلى الله أو حضورهم مجالس الفقير إلى الله، بمعنى أنه لم يستأذنى أحد منهم باعتزال الفن، ولم يشاورنى أحد أو يحاورنى، هل الأفضل أن أعتزل أو لا حتى أعرف اننى أقنعته أم لا .

• ألم تلتق بالفنانين بعد سماعهم لأشرطتك أو حضورهم لمجلسك ؟..

- بالفعل حدثت لقاءات مع بعضهم، لكن

بعد أن قرروا الاعتزال ، على سبيل المثال الفنان مجدى امام الذى اعتزل منذ سنوات، وأيضاً هاتفتنى الأخت عبير صبرى التى اعتزلت مؤخراً، وكان ذلك بعد الاعتزال كذلك، والأخت صابرين فى أول أيام اعتزالها، وقد حضرت جلسات مع النساء .

• لكن ألم تحدث لقاءات منفردة معهن بعد الاعتزال ؟..

- أنا لا أختلى بامرأة، فهذا لايجوز أن يختلى الرجل بامرأة، ما اختلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما، كما جاء فى الحديث عن النبى ﷺ .

• هل ساهمت فى اعتزال أحد من أهل الفن فى أى دولة عربية أو إسلامية أخرى ؟..

- لايوجد فنانون فى أى دولة أخرى بنفس الكثرة الموجودة فى مصر، وأذكر أننى حضر لى بعض الفنانين والفنانات فى مجالسى، لكن لم ينم إلى علمى شئ من هذا القبيل لأننى لا أتتبعه، كما أن مصر لا تقارن بغيرها من الدول العربية فى اتساع أهل هذا المجال، وأيضاً نفسية الإنسان المصرى التى أودعها الله عز وجل ميزة وهى رقة القلب وقوة تفاعل العاطفة إذا شعرت بصدق من يخاطبها .

• بصراحة شديدة، هل تشعر بسعادة داخلية عندما تعلم نبأ اعتزال فنان أو فنانة كانت تظهر على خشبة المسرح أو فى السينما بملابس سيئة وخارجة، وهل تسع لمقابلتها أو الحديث معها للاستمرار فى هذا الطريق ؟..

- نعم أشعر بسعادة غامرة وأتوجه إلى الله عز وجل أن يرزقها الاخلاص أيضاً وأن يثبتها على الخير الذى أقبلت عليه .

• نجاحك فى اعتزال بعض أهل الفن فى مصر، هل سيدفعك للسعى أكثر فى هذا المجال ؟..

- نحن ندعو إلى منهج نثق تمام الثقة بأنه لو وفقنا الله للصدق فى الدعوة إليه سيكون به الأثر الكبير فى تصحيح الكثير من المفاهيم والسلوكيات الخاطئة ، أيضاً ما تعلمناه من شيوخنا أن مهمتنا أن نتوجه وأن نخاطب وأن نبذل الأسباب ولاننتظر الثمرة من عملنا ، إنما ننتظرها من توفيق الله سبحانه وتعالى ، لأنه عمل يرجع إلى هداية الحق ولأننى لم أتعمد التخصص فى مثل هذا النوع إنما كنت أسعى بقدر ما أستطيع أن أكون صادقاً فيما أطرح، فبالتالى الثمرة ستتسع إذا استمررت على نفس المسلك ، بأن يكون همى وفكرى ليس فى الفئة هذه بعينها أو فى هذا التوجه بذاته، وإنما يكون جمع همى وتركيزى فى كيفية تصحيح معنى الصدق فى قلبى إذا تكلمت، هذا وحده أجده كفيلاً بأن يؤثر فى هذا المجتمع أو غيره ، فليس التبرج والابتذال فقط فى مجتمع الفنانات ، بل هو أمر منتشر أيضاً فى الشخصيات العادية بيننا الآن ، فمعالجة هذه الظاهرة الخاطئة تحتاج إلى التوجه بالصدق إلى الله عز وجل وحسن المعاملة وأخذ الأخلاق النبوية فى التخاطب مع الغير ، وأظن أن الانشغال بتحقيق هذا الأمر فى نفس الداعية يجعل الله به أثرا أوسع بكثير من انشغال الداعية بنوعية الذين سيخاطبهم .

تمويل أجنبي

• ما حقيقة حصولك على دعم أجنبي لنشاطك في اعتزال الفنانين من أجل تخريب الفن المصري ؟..

– إذا كان دين الله عز وجل عاجز عن أن يتعامل مع الناس إلا بواسطة دعم مالي أو اتصالات خارجية، فهذه مشكلة كبيرة في فهمنا نحتاج إلى أن نصوبها، لأننا إذا رأينا أن ديننا لا يستطيع أن يكون قائماً بذاته في إقناع الغير بمعنى الاستفادة والانتفاع والإقبال على الله، فهذه مشكلة كبيرة تحتاج إلى تصويب في عقول المسلمين، ثانياً ينبغي أن نخرج من عقدة النقص والعجز بأن المسلم لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بدعم من الخارج، نحن نعيش أزمة اقتصادية وسياسية وعسكرية والآن دينية ، أزمة المستورد، بمعنى أنني لا أستطيع القيام بأي فعل إلا إذا كان ورائي أجنبي، الأمر الآخر أن الجهات الأجنبية التي يتوقع أن يكون لها يد في هذا الأمر والتي ترغب في الإضرار ببلد مسلم مثل مصر، هي التي تشجع المستوى الانحرافي الذي يمكن أن يكون في المجال الفني، لا التي تحاول أن تقنع القائمين بالفن على أن يحسنوا انتقاء مايقدمونه للناس .

• ولماذا أثيرت قضية التمويل الأجنبي لنشاطك الدعوي في مصر في الوقت الراهن ؟

– بسبب أمرين فيما أظن، وأرجو ألا يكون ظني صحيحاً : الأمر الأول أن عندنا عقدة العجز والشعور بأن الدين ليس بالمستوى الذي يستطيع أن يقنع الغير، فهذا مرض نحتاج أن نُعالج منه، الأمر الثاني غلبة الهوى على ألسنتنا وأقلامنا، فإذا رأيت شيئاً لا يتناسب مع ما أريده أحاول أن ألصق التهمة به، وأنا لا أتبرم من النقد، لكن أحب من ينتقد أن ينتقد كي يصل إلى تصويب وتصحيح الخطأ إن وجد، لا لينتقد من دافع الهوى، فلو أن من يكتب مثل هذا الكلام ومن يتحدث به تحقق قبل أن يكتب أو يتحدث لعرف الحقيقة، ليس في موضوعي فقط، إنما عدم الشعور بمسئولية الكلمة الذي تفشى في صحافتنا الآن والاعتماد على الإثارة فقط هو السبب في إفراز مثل هذه التصرفات والتقولات اللامسئولة .

تبرعات وهبات المسلمين

• هل تعتمد في نشاطك الدعوي على تبرعات وهبات بعض المسلمين في مصر أو غيرها من الدول الإسلامية الأخرى ؟..

– إنني بفضل الله من أسرة مكتفية، فلم أمد يدي لأحد وأسأل الله ألا أمدها في المستقبل، وأرى أن الدعوة ليست بحاجة لأن يمد أحد يده إليها ، لأن دعوتي والكلام الذي أتوجه به في الخطاب لا يحتاج إلى مال، هذا بالنسبة لي كشخص، وينبغي أن يكون هناك أمر راسخ في النفوس هو أن الله عز وجل لن يعجز عن أن يرزق من يقوم بخدمة دينه دون أن يحوجه إلى الناس هذا أمر ينبغي أن نرتقي به في مفهومنا ، فنحن ننتمي إلى مؤسسة سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ، والداعي الى الله الذي سيدخل هذا المجال في خدمة الدين

ولايزال يتلفت يمنة ويسرة باحثا عن الدعم، لايفقه عظمة الانتماء الذى ينتمى إليه .

● **هل معنى ذلك أنك تحرم حصول الداعية على تبرعات وهبات أهل الخير من المسلمين ؟**

- ليس من الخطأ أن يقبل الداعية الهبات غير المشروطة التى قد تأتى إليه، فى نفس الوقت من الخطأ أن يعتمد قلبه عليها، فهناك فرق بين أن يأتى لأحد الدعاة بعض المتبرعين من أهل الخير بمال غير مشروط لغرض معين، فيقول صاحبه هذا أريده نصيبى من الخدمة فى سبيل الله فيتحمل الداعية أمانة وضعه فى محله، وبين أن يتحرك الداعية وفى قلبه اعتماد على أن فلاناً سيعطيه وينتظر هذا العطاء، فالفارق كبير بينهما .. وهذا أمر موجود فى الأمة من أول تاريخ الإسلام إلى اليوم ويدل على عظمة تكامل الإسلام، لكن أن أتعامل من هذا المنطق فلن أكون فى خدمة الإسلام وهذا هو الخطأ أن يكون القلب معتمداً على مثل هذا الأمر .

أتوقع قتلى أو حبسى

● **بعض الدعاة السابقين كان لهم دور فى اعتزال نجوم الفن فى مصر، لكن لم تثار ضدهم كل هذه الضجة التى أثيرت حولك، ماتفسيرك لذلك ؟..**

- يمكن أن تسأل من أثاروا هذه الضجة، والحقيقة أن هذا الموضوع لم يزعجنى كثيراً، فهذا أمر أتوقع أكثر منه، فمن يرد أن يخدم دينه يتوقع أن يؤذى ويتكلم فى حقه، وإلا فما معنى خدمة الدين، لذلك لم أشعر أننى بحاجة لأن أحلل المسألة ولا كيف ولماذا، فعندى منهج ثابت فى التعامل مع من يعترض أو ينتقد أو يسىء، وهو أن أحسن الظن فيه لعله لم يفهم أو يفقه، وأن أتوجه الى الله عز وجل أن يبين له الصدق، ثم أعود وأحاسب نفسى لعل ما يقوله فى انتقادى فيه شئ ينفعنى، لأن أحد حكماء العرب عندما سُئل عن السؤدد الذى وصل إليه قال انتفعت بأعدائى، وما وصمونى أو عابونى بشئ إلا فتشت فى نفسى هل فى شئ مما يعيبوننى به أم لا، لذلك إذا رأيت هجوماً أو اعتراضاً أو محاولة تشويه أو نحوها لا أنشغل بدوافعهم ولا من ورائهم ولا ماذا يقصدون، لكنى أنشغل بأن ما يقولونه هل فيه شئ من الصحة فأعود إلى نفسى وأصوب الخطأ إن وجد، أما إذا كان ما يقولونه ليس فيه صحة أتوجه إلى الله عز وجل أن يبصرهم بالحق .

● **لقد ذكرت أنك تتوقع أكثر من الانتقاد والاتهام، فهل تتوقع السجن أو القتل ؟..**

- من يخدم دينه يتوقع كل شئ، ومن يصبح لديه شئ أغلى من خدمته للدين، لم يفقه خدمة الدين : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ ، وإجابتى ليست تهربا من سؤالك، إنما هى أكبر وأعظم من السؤال ، المهم ألا يكون ذلك بخطأ ترتكبه فيما بينك وبين الله أو بخلط فى أمور الدعوة بمقصد من مقاصد الدنيا متسبباً فى ذلك .. وأرجو أن يكون ذلك عندى، ولا أدعيه لأنه شرف عال وأتمنى أن يرزقنى الله ذلك .

حضور مكثف فى مصر

• ولماذا قررت الحضور إلى مصر رغم وجود العديد من العلماء والدعاة الثقات فيها ؟..

- المجئ فى الأصل إلى مصر لم يأت كى أعلم أو أدعو ، إنما جئت مستفيداً، وقد تعلمت من مشايخى أنه من حسن الاستفادة أن يفيد الإنسان من حوله بما عنده، ومهمتى هنا هى مهمة الناقل لكلام علمائها الذين استفدنا منهم، الموجودون الآن أو من نروى العلم بسند عنهم، وبفضل الله الأسانيد التى نروى بها الحديث أو الفقه تمر فى طريقها إلى مؤلفى الكتب من علماء مصر، فما يحصل هذه بضاعتنا ردت إلينا، هذا أولاً بالنسبة لواقع الحال الذى تسأل عنه، أما بالنسبة للقاعدة فالإسلام هو دين الله والأرض أرض الله، ومن عظمة الإسلام أنه أزال بين أهله حدود الأماكن والأزمان، والحكمة ضالة المؤمن حين وجدها أخذها، ثم إن لمصر منزلة خاصة فى قلوب المسلمين، وفى قلوبنا نحن المنتمين إلى أهل بيت النبوة، لما كان منها من حسن استقبال وإيواء لأسلافنا الذين انتشروا فى هذه البلاد ومساجدهم معمورة ومعروفة .

• لكن لماذا تكثف نشاطك بصورة أكثر فى مصر عن غيرها من الدول الإسلامية الأخرى ؟

- ليست مصر بالذات ، فالحمد لله لنا نشاط فى الإمارات وأتردد على مستوى الإعلام والمساجد والمجالس، كما أتردد على الكويت والبحرين وقطر وسلطنة عمان والأردن ولبنان وفى إندونيسيا وماليزيا وسيرلانكا، وفى الدول الإفريقية، وأيضاً فى أوروبا

الجفرى

وأميركا، فالمسألة ليست محصورة أو مقصورة على مصر فقط .

• ولماذا تكون الإقامة فى مصر أطول ؟..

- لأن مصر لها وضعية خاصة، فهى بلد تحت المجهر ونشيطة إعلامياً، واليوم الذى أقضيه فيها يشعر الغير بأننى قضيت عشرة أيام مقارنة بدولة أخرى، وليس معنى ذلك أننى أذهب كى أوجد ذلك، فإقامتى فى المملكة العربية السعوية مثلاً أكثر من إقامتى فى مصر حيث تربيت وتعلمت فيها، لكن لأن مصر حية إعلامياً تظهر الصورة بأن إقامتى فيها أطول .

السعى للشهرة

• هل حضورك المكثف إلى مصر لأنها تعطى مجالاً أوسع للشهرة أم لأسباب أخرى ؟

- من يريد أن يخدم الدين وللشهرة منزلة فى قلبه، فهو غير صادق مع الله، إنما وجدنا من أهلها من المحبة وحسن الاستماع وقابلية الانتفاع والحرص على ذلك إلى حد الملاحقة ونحن فى اليمن أو فى البلدان الأخرى التى نتنقل فيها بالهواتف والفاكسات والبريد الالكترونى، كل هذا الإصرار والإلحاح الشديد

جعلنا نشعر بالإحراج بيننا وبين الله بأن نرد طلبهم .

● **بعد هذه الحملة التى أثيرت ضدك فى مصر هل تنوى الإقامة فيها بشكل مستمر ؟.**

- هذا شرف أن أقيم فى مصر، لكن ظروفى لا تسمح لى بذلك لأننى أقيم فى اليمن فى منطقة حضرموت فى بلدة تريم، وعند شيخنا سيدى الحبيب عمر بن حفيظ مؤسس دار المصطفى للدراسات الإسلامية التى أتشرف بالدراسة والتدريس فيها ، لذلك فاستقرارى الأساسى هناك، كما أن زوجتى وأولادى هناك، ولم يخطر ببالى مسألة الاستقرار فى مصر .

تعدد الزوجات

● **قلت إنك متزوج من اثنتين، هل معنى ذلك إنك مع تعدد الزوجات فى الوقت الراهن ؟**

- تعدد الزوجات له مقاييسه وضوابطه، إن توافرت فهو فى كل زمان ومكان .

● **لكنك تسافر كثيراً وتتنقل بين الدول المختلفة وتبتعد عنهما ، فما الداعى للتعدد إذاً؟..**

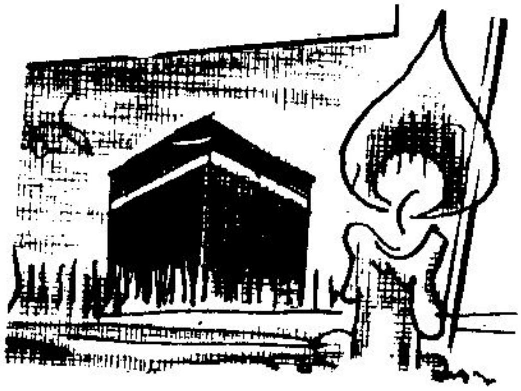

- قد أصطحب إحداهما والأولاد معى فى غير التزام الأولاد بحلقات دروسهم .

● **لقد تحدثت عن وجود شروط للتعدد ، فما هى من وجهة نظرك ؟..**

- هى نفس الشروط الواردة فى الزمن الماضى، وجود داع لهذا الأمر، مع وجود ضابط العدل، إن وجد الداعى للزواج ووجد العدل فيما بعد الزواج فقد استقر الأمر، والداعى قد يكون حاجة الرجل إلى الإنجاب مثلاً، أو لأمر فيها أو لأمر فيه ويشعر بحاجته لأن يتزوج .

● **أخيراً : فى ظل الظروف الراهنة التى تمر بها الأمة الإسلامية ، هل ترى أن هناك ضرورة لتوحيد جهود علماء المسلمين خلال هذه المرحلة الصعبة، خصوصاً فى ظل الاختلافات الكثيرة بينهم والتى تؤثر على مسيرة العالم الاسلامى؟..**

- الأصل فى ديننا اجتماع كلمة المسلمين عموماً، فكيف بأهل العلم الذين يخدمون الدين، والمقصود بجمع كلمة العلماء هنا ليس أن يتحدوا على رأى واحد فى جميع المسائل التى يفتون بها ، ولكن أن يجتمعوا على منهجية فتواهم ومخاطباتهم، وأن يترفعوا عن مستوى تبادل التهم والاعتداء على بعضهم البعض فى الآراء، هذا أمر ضرورى فى كل مرحلة وليس فقط فى مرحلتنا ، ونحن فى أشد الحاجة إليه فى مثل هذه المرحلة الحرجة التى نمر بها الآن .

أجرى الحوار : أسامة عبد الحق

اعتذار

إلى ملكة جمال فلسطين !!..

د. حلمى محمد القاعود

خاص: المختار الإسلامى

نحن - أنا وأمثالى - مدينون باعتذار تاريخى إلى المجاهدين من الشعب الفلسطينى الأسير، خاصة المرأة الفلسطينية والاستشهادية على وجه أخص .. فقد فجعنا بعض المصريين حين أقاموا فى "مارينا" - شاطئ المشاهير والأساطير - حفلاً لاختيار ما يسمّى "ملكة جمال مصر" وزادوا فى فجيعتهم لنا حين أعلنوا أنهم كانوا قد أجلوا الحفل أسبوعاً تضامناً مع الانتفاضة الفلسطينية ! ..

فى العصر الثورى الجمهورى يسعى البعض إلى استعادة الملكية ولو بالاسم - فى صورة فتاة تطرح جسدها أمام الرأى العام مع أخريات ليقوم الباحثون عن الملكية بتطبيق مقاييس الجمال الأنثوى واختيارها ملكة (!!) لمصر!!..

استطاع هذا البعض أن يشغل الناس عبر الصحافة والتلفزة بالملكة المنتخبة(!!) ويقدمها فى عناوين كبرى وصور تملأ الأغلفة والصفحات وبثّ مباشر أو مسجل عبر قنوات أرضية وفضائية، محلية وعربية، وقد خصصت قناة فضائية طائفية لبنانية أكثر من ساعتين لتقديم بناتنا المتسابقات وهنّ شبه عرايا.. فى أوضاع مختلفة حتى تمّ تتويج الفتاة (الملكة) مع التعريف بها من حيث الطول والبرج الذى تنتمى إليه وهوايتها، ولون شعرها وعينيها وكونها تعدّ نفسها سفيرة لمصر فى الخارج وسفيرة للسلام !.. فضلاً عن طبيعة (الماكياج) الذى تستخدمه والكريم الذى تفضله والألوان التى تحبذها

والتاج الذى صُمّم لها .. ولم تقصر الصحافة والتلفزة فى تقديم أو ذكر الملكات السابقات للجمال فى مصر منذ عام ١٩٨٧ حتى الآن وكأنه مجد تليد ينبغى الاحتفاء به وتخليده .

ويحاول بعضهم أن يغطى على الجريمة التى تسمى مسابقة ملكة جمال مصر بالقول إن المسابقة ثقافية تقوم على اختيار أفضل المتسابقات فى المعلومات العامة والثقافة والذكاء ، ويدلّلون على عمق الفكر الثقافى فى الأسئلة الموجهة إلى الفتيات بسؤال عن "الخُلع" فى الشريعة الإسلامية ويشيرون إلى طرافة بعض الإجابات مثل قول إحداهن : إن من حق المرأة الخلع إذا "زهقت" من زوجها مثل الرجل تمامًا عندما "يزهق" من زوجته فيتزوج عليها !!..

لا ريب أن المتسابقات لا ينتمين إلى القاعدة الشعبية العريضة من المصريين التى تعيش تحت خط الفقر أو فوقه بقليل ، ومن المؤكد أنه لا تشغلهن لقمة العيش ولا صعوبة المواصلات ، ولا زحام المساكن ، ولا سكّان القبور الأحياء ، ولا الدروس الخصوصية ، ولا البطالة ، ولا الوقوف فى طوابير الخبز أمام الأفران البلدى ، ولا انتظار مواسم التخفيضات (الأوكازيون) لشراء بعض الملابس أو الأحذية المخفضة .

ولا ريب أن المتسابقات لا تشغلهن قضايا الأمة على المستوى الوطنى أو القومى أو الإسلامى ، فلا يعنيهن مثلاً حاجة مصر إلى القمح واستجدائه من دول الغرب الصليبى ، ولا يعلمن شيئًا عن ديون مصر لهذه الدول ، ولا يعرفن ما يترتب على هذه الديون من ذلّ وهوان وفقدان للاستقلال السياسى والحضارى.

ولا ريب أن هؤلاء الفتيات لا يعلمن شيئًا عن الإسلام ولا تعاليمه ولا أخلاقه ، فمن منهن تعلم أن جسد المرأة المسلمة تنبغى صيانته عن الابتذال والعرى وتعرض الآخرين له ؟.. ومن منهن تعلم أن حرية المسلمة تكمن فى سلوكها وفكرها وإنسانيتها وثقافتها ، لا فى شعرها وعينيها وخصرها وساقيها ولون بشرتها ؟.. ومن منهن تعلم أن ربط قيمة المرأة بجسدها وسنّها مخالف لمبادئ الإسلام وقيمه ؟.. ومن منهن تعلم أن جمال المرأة فى الإسلام يكمن فى الروح والعاطفة وخدمة المجتمع ؟..

سألت نفسى : من يكون الآباء والأمهات لهؤلاء الفتيات ؟.. هل أخذتهم الغيرة عليهن وهنّ بين أيدى السادة تجار الأجساد يقلّبونهن ويقيسون خُصُورهن وصدورهن ونحورهن وسيقانهن ؟.. يقال إن الخنزير وحده لا يغار على أنثاه سواء كانت زوجته أو قريبته .. فكيف انخدع الآباء والأمهات لتقديم بناتهم على مذبح العرض الجسدى ؟.. لقد تحولت المرأة فى الغرب الصليبى إلى سلعة أو جارية تُباع وتُشترى مع الفارق الزمنى بينها وبين جارية الزمن الماضى .. ومع الفارق الزمنى أيضًا بين التماس القديم والتماس الصليبى

المعاصر ومن يقلّدونه من غير الصليبيين .. صارت المرأة هناك مجرد جسد يعرض الثياب: الفساتين وقمصان النوم والمايوهات وقطع الذهب والماس والفضة التى تتحلى بها النساء فى الأذنين والرقبة واليدين والقدمين ، وصارت المرأة مجرد جسد لقضاء المتعة على شاشات السينما والتلفزة وصفحات الجرائد والمجلات ، صارت المرأة مجرد "سنارة صيد" فى السكرتارية والشركات والمؤسسات ..

لقد صارت المرأة إلاّ قليلاً مجرد جارية تخدم مافيا السياسة والاقتصاد والتجارة والمخابرات فى الغرب الصليبى ويريدونها هنا أن تلحق بأختها الصليبية لنكون مستنيرين تقدميّين ثوريّين .. أما أن تكون ملكة جمال حقيقية فى وطنها وأمتها وشعبها .. فهذا ما يريدونه .

لا يريدون أن تكون ملكة جمال فلسطين أو مصر من عينّة وفاء إدريس أو آيات الأخرس ، أو إيمان حجو ذات السنوات الأربع !..

يريدونها مجرد جثة تنطبق عليها مقاييس المترات والسنتيمترات وألوان البشرة وأحجام الأنف والأذنين والقدمين .. جثة بلا روح ولا عاطفة ولا وجدان .

لا أستطيع أن أفصل بين مسابقة ملكة جمال مصر والمهرجانات أو المهارج التى تقام فى بعض الدول العربية وخاصة المجاورة لفلسطين مثل مهرجان صايغ النجوم وسوق عكاظ ومهرجان المحبة ..

ففى الوقت الذى يتم فيه استئصال الشعب الفلسطينى الأسير وضربه بالطائرات والدبابات والمدافع والصواريخ ، وقتل أبنائه ومجاهديه ، وأسر نشطائه ، وتدمير بيوته, وفرض الحصار وحظر التجول على القرى والمدن الفلسطينية ينشغل البعض منّا بالرقص والطبل والزمر واختيار ملكات الجمال .. وكأن كل شىء هادئ على الجبهة ، وكأننا نعيش السلام والرخاء الأبديين !!.. وكأن الصليبيّين الاستعماريين لا يريدوننا أن ندخل إلى ساحة التبعية والتغريب !!.. أخشى أن يقول عنّا أحرار العالم : إننا فقدنا الإحساس والشعور .. بعد أن فقدنا الغيرة والنخوة .

وفى كل الأحوال .. فنحن مدينون بالاعتذار إلى ملكة جمال فلسطين الاستشهادية التى تفجر نفسها فيمن أذلنا وقهرنا وجعلنا معرّة الأمم .. أما أنتم يا ملكات مارينا .. فالويل لكنّ من الله .. ثم من الشعوب !!..

د . حلمى القاعود

الدكتور محمد السيد الوكيل فى رحاب الله

- مواليد مدينة زفتى عام ١٩٢٥.
- حفظ القرآن وهو ابن عشرة أعوام .
- والده الشيخ سيد الوكيل محفظ القرآن الكريم .
- تخرج فى كلية أصول الدين عام ١٩٥٥م وعين مدرساً عام ١٩٥٣ .
- اعتقل فى عام ١٩٥٤ بسبب انتمائه للإخوان المسلمين .
- خرج من المعتقل وسافر لأداء عمرة فى عام ١٩٥٨ وقرر البقاء هناك .
- عمل مدرسا بالمملكة العربية السعودية وفى عام ١٩٥٩ عاد إلى مصر فى إجازة ليتزوج شقيقة الأخ عبد الحى عويضة .. سافرت معه إلى السعودية فى أوائل عام ١٩٦٠م وبعدها بعام مُنح الجنسية السعودية وبقى بالسعودية ولم ينزل إلى مصر إلا فى عهد أنور السادات وأخذ من مصر درجة الدكتوراه فى التاريخ الإسلامى وعاد إلى السعودية ودرس بكلية الحديث بالمدينة المنورة وتدرج فيها حتى وصل إلى عمادتها وبقى حتى عام ١٩٨٥ .. بعدها عاد إلى مصر ليكمل رسالته فى الدعوة والخطابه وإلقاء الدروس والتأليف وظل على ذلك حتى وافاه الأجل مساء يوم الثلاثاء ٢٠٠٢/٦/٢٥م عن عمر يناهز السابعة والسبعين رحمه الله رحمة واسعة .
- من مؤلفاته ، كتاب الترويح فى الإسلام وكتاب القيادة والجندية فى الإسلام وكتاب كبرى الحركات الإسلامية فى القرن الرابع عشر الهجرى وكتاب نظرات المستشرقين والإسلام وغيرها من الكتب القيمة .

يقول الدكتور أحمد العسال : الدكتور محمد السيد الوكيل أستاذ الحديث فى الجامعة الإسلامية بالمدينة وممن رابطوا فى المدينة فى فترة المحنة أيام عبد الناصر يستقبل الإخوان ويقدم لهم ما يحتاجونه من مساكن ومن راحة وكان له درس فى المسجد النبوى الشريف .. دافع فيه عن الإخوان بوضوح واستقامة وظل على ذلك حتى ابتلاه الله بمرض عضال منعه من الحركة والذهاب للمسجد فاضطر للعودة إلى مصر وظل بها حتى فارق الحياة .. كان يفهم تاريخ المدنية فهماً جيداً ، أراد فى بدء إقامته بالمدنية أن يعود إلى مصر فرأى فى المنام رسول الله ﷺ يقول له : ابق بالمدينة .. حكى لى هذه الرؤيا ، كان لنا أخ كريم رحمه الله رحمة واسعة .

يقول إبراهيم الشحرى من زفتى وأحد محبى الدكتور الوكيل : حكى لى أستاذنا الدكتور محمد السيد الوكيل رؤيا منامية رأى فيها كذلك الإمام الشهيد حسن البنا والكل مجتمع فى أحد المساجد الكبرى بزفتى وإذا بالإمام البنا يقول لرسول الله ﷺ : تفضل يا رسول الله اصعد المنبر وخاطب الناس ، فقال له رسول الله ﷺ : اصعد المنبر يا أخ حسن وخاطب أنت الناس .. كانت هذه الرؤيا قبل وفاة الإمام البنا بعام .. رحم الله الجميع وألحقنا بهم على خير .

عبد الرحمن هاشم

الأستاذ عبد السلام الرفاعى فى رحاب الله مع الصديقين الأوفياء

انطوى يوم الأربعاء ٣١/٧/٢٠٠٢ علم من أعلام التربية الإسلامية فى القرن العشرين بمصر .. ذلكم هو الأستاذ عبد السلام الرفاعى موجه عام اللغة العربية والتربية الإسلامية منذ الأربعينيات .

لقد كان خلال أكثر من أربعين عاماً من العمل التربوى يرى أن سعيه الدءوب بين المناطق التعليمية المختلفة بمثابة أداء للرسالة ، فهو عابد متبتل ، يجاهد بقلمه أو بكلمته فى سبيل الارتقاء بالعمل التربوى ، وتحسين أداء العاملين فى مختلف المراحل التعليمية .

لم يقتصر إسهام الأستاذ الرفاعى على دواعى الوظيفة .. بل إنه أنشأ مدرسة خاصة فى حى شبرا كانت منارة باسم "مدرسة رياض العلم" وكان يخصها بالكثير من الإشراف التربوى حتى صارت أنموذجاً للإسهام الخاص فى الارتقاء بالتعليم .

وإلى جانب اهتمام الفقيد بالعمل التربوى والارتقاء بالتعليم فى مصر فقد كان على المستوى الشعبى أحد الأعضاء العاملين فى الجمعية الشرعية منذ الأربعينيات من القرن العشرين حيث ساهم بجهده وقلمه فى تحرير مجلة "الاعتصام" (رد الله غربتها) و"المختار الإسلامى" منذ سنواتها المبكرة ، واستمر خلال فترة من الخمسينيات يحرر ويكتب فى موضوعات الدعوة والسنة متمثلا دائما اقتران العلم بالعمل ، واستمرار الجهاد والتهجد .

لقد نشّأ الفقيد أولاده على ما نشأ هو عليه منذ نعومة أظافره حيث تربى على موائد الدعوة ، ورضع من لبانها ، ودرب نفسه على آدابها ، وروّض على البر والتقوى، وعلى الالتزام والعمل الصالح .. لم تأخذه الدنيا المغرية ، ولم تغيّره الضغائن المزرية ، وسعد سعادة الدارين بمحبة عشاقه ومريديه ، والتفافهم حوله ، فعاشوا يستأنسون برأيه ، والثقة فى حديثه وتوجيهاته ، فعاش معهم والبسمة مرسومة على محياه ، والبهجة مطبوعة على تصرفاته ، فكان أصدق الناس حديثا فيمن عرفناهم - ولا نزكى على الله أحدا - وأحسنهم خلقاً فيمن عايشناهم، وأكثرهم وعيا والتزاما من طبقة المثقفين المتدينين الذين فقهوا حقيقة دينهم ، وفهموا سر نجاحهم ، وأدركوا سر الهدف العظيم خلف

معنى حديث رسول الله ﷺ :

"إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه .. أحفظ ذلك أم ضيعه .. حتى يسأل الرجل عن أهل بيته" .. أو كما قال.

لقد أشرف الفقيد على أكثر من جيل منطلقا من قاعدة أساسية أرساها الإسلام العظيم وهى التصدى بالتقدم المذهل فى توجيه أساليب الإعلام والنشر الذى جعل من المتعذر من الناحية العملية إقامة السدود والحواجز أمام ما نريد أن لا يصل إلى عقول أبنائنا ونفوسهم ، وأصبح الأمر يعتمد أساسا على الدوافع الذاتية للفرد المسلم ، وقوة إرادته تطبيقا لمبدأ "الوقاية خير من العلاج" ، وأن التربية الإسلامية تبدأ من مرحلة التنشئة وتتصاعد مع نمو الطفل إلى آخر درجات النجاح .

ولا أحسب إلا أنى قد تناولت جزءا يسيراً جداً من خصال الفقيد التى اكتسبها خلال عمره الطويل من مشروعية الإسلام العظيم حيث كان الفقيد من أصدق الناس حديثاً فيمن عرفناهم ، وأحسنهم خلقاً فيمن عايشناهم .. فالبهجة واضحة فى تصرفاته ، والبسمة مرسومة على محياه .. فإن الفقيد لم تغره الفتنة المجهولة ، أو الضغائن المحمولة ، أو الدنيا الفانية بعد أن استمعت إليه واستمع معى عشرات الآلاف من المسلمين فى كثير من مواعظه وكتاباته وتذكيراته التى كانت تدور حول الزهد فى الدنيا والتعلق بالآخرة فيذكّر الناس بقول لقمان لإبنه :

"إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة .. وخرست الحكمة .. وقعدت الأعضاء عن العبادة" .

ثم يختم موعظته بهذه المقولة العذبة : إن الجوع نهر تسبح فيه الملائكة .. والشبع بحر تجرى فيه الشياطين .

رحم الله أستاذنا الفاضل رحمة واسعة ، وأسكنه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وجعله درساً نافعاً للأجيال المسلمة من بعده .

حسن عاشور

المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين

أسسها حسين عاشور

(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩)

تصدر غرة

كل شهر عربى

رقم الإيداع ٦٠٧٠ / ١٩٧٩

المشرف العام

حسين عاشور

رئيس التحرير

د . محمد مورو

الإشراف الفنى

على عبيد

المراسلات :

القاهرة ص ب ١٧٠٧

الرمز البريدى ١١٥١١

تليفون ٠١٠ ٥٨٥٢٧٦٢

فاكس ٤٩٠٩٥٤١

الاشتراك السنوى :

داخل مصر ٥٠ جنيها

خارج مصر ٥٠ دولارا أمريكيا

المراسلات والحوالات والشيكات

باسم

حسين أحمد عيسى عاشور

بريد إليكترونى

mokh51@hotmail.com

ملف الشهر ٢

نكبتنا الثالثة ما بعد النكبتين

١٩٤٨
١٩٦٧
٢٠٠٢

توفيق الطيب

إلى الذين لا يفكرون بعقلية ما قبل النكبتين أو بعقلية ما بين النكبتين .. بل الذين صهرت آلام النكبتين أعصابهم فأيقظت فيهم حس التفكير العميق الجاد بالمستقبل .. إلى جيل ما بعد النكبتين .

أصيبت أمتنا بنكبتين كبيرتين ، الأولى فى عام ١٩٤٨ ، والثانية فى عام ١٩٦٧ ، وكانت هاتان النكبتان - فى رأى الأستاذ توفيق الطيب مؤلف كتاب "الحل الإسلامى ما بعد النكبتين" - ترجعان إلى غياب البعد الإسلامى أو استبعاده قسرا ، لأن البعد الإسلامى هو الشرط الأساسى للنهضة والانتصار .. كانت النكبتان أيضا فى رأى "توفيق الطيب" تدشينا لهزيمة فكرية هى السبب الحقيقى للهزيمة السياسية والعسكرية ، وإعلانا لإفلاس كل من المنظومتين الليبرالية ثم الاشتراكية ، وهكذا وضع توفيق الطيب يده على الجرح الحقيقى ، ووضع الأساس الصالح لتعديل المسار وبالتالى تحقيق أول شروط الانتصار .

و هذه هى الأخطاء؟

١ - لم تدرك الحركتان اللبرالية والاشتراكية العربيتان جوهر الفكر الغربى الحديث ولا جوهر العصر الأوروبى الحديث ونتيجة لذلك فهى لم تدرك جوهر التحدى الغربى الحديث لحضارتنا .. فجوهر الفكر الأوروبى الحديث يلتمس فى الأساس الفلسفى الذى نهض عليه علم الطبيعة الحديث ، والذى قامت عليه الصناعة الحديثة وجوهر العصر الأوروبى الحديث هو العلم والصناعة .. فهذا العصر الأوروبى الحديث مهما حاول المفكرون فيه أن يدركوا كنهه فلن يصلوا إلا إلى هذه النتيجة : إنه عصر العلم والصناعة الحديثين .. وإذا كان هذا هو جوهر هذا العصر فهو فى نفس الوقت جوهر التحدى الغربى الحديث لنا .. بخلاف تحدى الفلسفة اليونانية لنا فى أواخر العصر الأموى والعصر العباسى أو بعبارة أخرى : إن العلم الحديث والصناعة الحديثة لا العقيدة ولا الفن .. هما القضية فى التحدى .. فإذا كان الأمر كذلك فإن جوهر مشكلتنا هو "التخلف" المستند الى هذا الاعتبار .. والبديل الحتمى له هو "التقدم (١١)" المستند

إلى العلم والصناعة وعقلانية التنظيم المرتبطة بهما.

هذا هو مفتاح النهضة الحقيقية .. وقد قلت "بهذا الاعتبار" لأن التقدم المرتبط بالعلم والصناعة يتصل بالنظام العقلانى من الحضارة الأوربية فحسب ولا يمس نظام قيمنا الأخلاقية والجمالية .. ولا النظام العقائدى أو الأيديولوجى .. تلك هى المشكلة .

إن التحدى الغربى لم يكن تحديا للإسلام كعقيدة ولا كنظام أخلاقى رغم السكونية التى اتصف بها الفكر الإسلامى فى مرحلة الحضارة التى حصل فيها الاحتكاك الجديد مع الغرب ورغم "التحجر" فى معايير تقييمنا الخلقى ذلك أن صمود العقيدة الإسلامية قرون الاستعمار كلها لكل أنواع التدمير والتخريب من حضارة ذات جهاز فنى دقيق لهو أصدق دليل على أن الحقيقة هى رصيدها وأن الفطرة الإنسانية لا تتلاءم مع سواها .. وثورة المسلمين هى أسطع دليل على القوة الأخلاقية الكامنة فيهم وثورة الجزائر وحدها دليل واقعى ملموس على أن الروح الإسلامى لا يقهر .

وخطأ اللبرالية والاشتراكية هو أنها نقلت التحدى من مجاله الحقيقى إلى مجال آخر ، من مجال العلم إلى مجال العقيدة ومن مجال الصناعة إلى مجال الفن والأدب بحيث التقت فى النهاية مع التيار المعارض للنهضة .. وللثورة أيضا .. وهو بالضبط ما كان ومازال يريده الغرب ، ولا نستمد ذلك من سياسته التعليمية تجاهنا فى عصر الحكم الأجنبى فحسب بل من دليل حسى واقعى هو قيام الوطن القومى اليهودى على أرضنا الذى يمثل اليوم أوج التحدى الغربى السياسى والثقافى (١٢) معا.. وسنتطرق لهذا كله عند الحديث عن ظاهرة اللاإسلامية "وعن التعايش الثقافى".. وليس أدل على مخالفتهما لتيار النهضة أن تدعو اللبرالية إلى العقل فى طور الثورة الوطنية التى كنا نحتاج فيها إلى الثورة حيث كان هدفنا الحرية، وأن تدعونا الاشتراكية إلى الثورة فى طور البناء الاجتماعى الذى نحتاج فيه إلى العقل حيث إن هدفنا التقدم .. ولاشك أبدا فى أن الحرية كانت تحتاج إلى "عقلية ثورة" ولا شك أبدا فى أن التقدم يحتاج إلى "ثورية عقلانية" (١٣) .

٢ - إن عدم إدراكهما لجوهر التحدى الغربى الحديث القائم فى مشكلة التخلف العلمى والصناعى وعقلانية التنظيم المقترنة بهما أو ما أطلقنا عليه اسم "النظام العقلانى" من الحضارة ونقلهما موضوعه إلى نظام المفاهيم والقيم الأخلاقية والجمالية أى من مجال السلم والصناعة إلى مجال العقيدة والفن والأدب جعل تصورها لحركة النهضة مقلوبا مما أدى إلى الوقوع فى استدلال فاسد جعل أحكامها على الحضارة الأوروبية نفسها معكوسة وهذا هو خطؤها الثانى .

فهى بدلا من أن تركز الاهتمام على العلوم الطبيعية والرياضية والتصنيع أساس التقدم الأوروبى الحديث .. راحت تهتم بالعلوم التاريخية والفنون .. وهى بدلا من أن ترى فى علم الطبيعة الحديث والصناعة الحديثة شطر التقدم وأن تنظر إلى المذاهب الاجتماعية التى رافقته كنتيجة له ، راحت تجعل من "نقل" الاشكال الاجتماعية وتطبيقها فى بلادنا شرط التقدم .

وقد قلت الاشكال الاجتماعية لا المذاهب الاجتماعية لأدلل على أنها نظرت إلى تلك النتائج لا كمجرد "ظواهر" بل كـ"بدائه" أي نظرة ساكنة جعلتها تصبغ عليها صفة التعميم والإطلاق .. لذلك فهي لم تر المشكلة في الإنسان بل في النظام، ولم يشغلها البحث في المذهب بل "نقل" صوره وقوالبه .. تلك هي مأساة العقلية الشكلية التي سيطرت عليها في فهم مشكلة حضارتنا .

بتعبير أكثر وضوحا أنها بدلا من أن تحاول "فهم" التطورات الاجتماعية التي أدت إلى تطبيقات علم الطبيعة الحديث في الصناعة في المجتمع الأوروبي أو فهم تفسيرات الظواهر الاجتماعية التي نشأت عن ذلك .. كما فعل مفكرو الغرب بعد هيجل إلى نيتشة وإلى اليوم .. راحت تأخذ أحد التفسيرات لتلك الظواهر فتجعل منها "مسلمة" وتأخذ إحدى "صيغ" التطور الاجتماعية .. أي أحد النظم الاجتماعية . فتجعلها نموذجا لابد وأن يتكرر كما فعلت اللبرالية في دعاويها المختلفة للمذهب الحر والديمقراطية.. الخ ..

وبدلا من أن تحكم على التطورات الاجتماعية الأوروبية التي رافقت ظاهرة الرأسمالية وأعقبتها راحت تجعل من تحول بنى المجتمع الاوروبي "آلية التطور" على الإطلاق .. ومن أحد تفسيرها .. أي ظاهرة الرأسمالية الأوربية .. "علم التكنيك الاجتماعي" ومن تكرار تلك التجربة "حتمية تاريخية" !.. كما يفعل الاشتراكيون الماركسيون اليوم .. فهي لم تنظر إلى مجموعة تلك الظواهر كـ"تجربة أوروبية" في مجرى التاريخ الأوروبي بل راحت تعزلها من تيار التاريخ وتجمدها .. وهو أمر يناقض جوهر الماركسية نفسها .. وتعلقها في الهواء .. لتجعل من "فلسفة التاريخ " تلك لاهوتا جديداً لابد من الايمان به وبطقوسه أيضا (١٤) ... وهي بذلك أضاعت حتى فرصة الاستفادة من "منطق البحث" ومنهجه في العلوم الإنسانية الأوربية أيضا .

فما جلبناه للمسلم المثقف المتلهف إلى المعرفة المتحرق إلى النهضة لم يكن دراسات أو "تأملات" تسهم في "تحريك السواكن(١٥) .. بقدر ما جلبت له "عقائد جديدة" تتطلب التسليم والايمان والتصديق .

وهي بذلك كله لم تكتشف عن خطئها في فهم مشكلة الإنسان المسلم والمجتمع الإسلامي بل وعن خطأ أفدح منه في فهم الإنسان الأوروبي ومجتمعه أيضا.. ودلت بكليهما على تهافت نظرتها إلى الإنسان عامة ، ذلك أن الإنسان طبيعة وتاريخ كائن حي وكائن اجتماعي أيضا ، ذو عقل ولكن ذو ميراث أيضا ، فرد لكنه فرد من أمة بالذات في مجتمع بالذات ذو ثقافة خاصة لحضارة معينة .. فالإنسان الاوروبي "ليس هو الإنسان" على الاطلاق .. و"ما هو أوروبي" ليس مساويا لـ"ما هو طبيعي" لأن الأوروبيين ليسوا هم وحدهم "البشرية" وأوروبا ليست هي "العالم" .. وتاريخها هو تاريخها وحدها، وتفسير تطوراته ومصطلحات هذا التفسير خاص بها وحدها .

وإذا كان "علم الطبيعة الحديث" أوروبيا فإن الطبيعة نفسها ليست حديثة وليست أوروبية، وكذلك الحرية والعدالة الإنسانية .. فاللبرالية الأوروبية ليست هي "علم الحرية"، والماركسية

ليست هى "علم العدالة" بل هما بالضبط تفسيرات لظاهرتين اجتماعيتين فى التطور التاريخى للمجتمع الأوروبى الحديث فى القرن الماضى والقرن الحالى(١٦)، وللأوروبيين الحق فى أن يروا فى أحد نماذج تاريخهم صورة الإنسان الأكمل فيجعلوا منها صورة مطلقة أو يروا فى تفسير ظاهرة من ظواهر مجتمعهم "التفسير الصحيح" فيعطوه صفة الشمول .. وهو ما كان يحصل إلى عهد قريب جدا .. ولكن ذلك يبقى رأيهم .

ولهم أيضا أن ينظروا إلى تاريخ أوروبا على أنه تاريخ العالم و"تفسير" حوادثه على أنه قابل للتعميم(١٧) ولكن هذا ليس هو الواقع.

والحقيقة أنه ما من أحد ادرك فداحة الخطأ فى هذه النظرة مثل المفكرين الأوروبيين اليوم وأدركوا معها كم جرت عليهم المدرسة التاريخية Historismus من أخطاء حين فهمت الإنسان "ككائن تاريخى" ومن خلال التراث الغربى وحده .

ولست أشك فى أن هذه النقطة بالذات ستكون مفتاح كل نقد إسلامى بناء للعلوم الإنسانية الأوروبية فى المستقبل(١٨) .

وباختصار فان اللبراليين والاشتراكيين بدلا من أن يهتموا بـ "علم الطبيعة" و"التكنولوجيا" أخذوا "فلسفة التاريخ" فجعلوها "علما" وأخذوا "فلسفة الاجتماع" فجعلوها "تكنولوجيا" وبصورة أدق أخذوا احدى فلسفات التاريخ وأحد مذاهب علم الاجتماع .

ولعل هذا هو ما يفسر لنا هذا "الجمود" و"التحجر" العجيب فى الفكر العربى اليوم(١٩) ويفسر لنا فى نفس الوقت "الوصاية الفكرية" التى تمارسها الأنظمة المستبدة .. الثورية .. فيه .. فما لم يخلع الإنسان العربى عن نفسه هذه الوصاية ويثق بعقله وتراثه فإنه من المستحيل أن نخرج من حالة "العقم" والفوضى العقلية القائمة اليوم .. وأن نفوز بحرية اجتماعية حسية لا تجريدية .

٣ - لئن كان الخطآن الأولان يتصلان بعدم إدراك "الشرط الموضوعى" لحركة النهضة" فإن الخطأ الثالث يتمثل فى عدم إدراك "الشرط النفسى" لها .

ولئن كان إدراك جوهر التحدى الغربى الحديث لنا إدراكا صحيحا بمعرفة جوهر الفكر الغربى الحديث وأصوله يشكل "الشرط الموضوعى" لمعرفة جوهر الأزمة وبالتالى معرفة مفتاح النهضة، فإن اكتشاف التراث وبعث التراث وإحياء المفاهيم والقيم التراثية لنا هو "الشرط النفسى" لتجاوز الأزمة وتحقيق النهضة إذ لا يمكن ان نجدد شيئا ما لم يتجدد الإنسان نفسه .. والإنسان لا يمكن أن يتجدد بالعلم والصناعة ونظام الحكم، بل بالبعث الروحى .. وبالحقيقة .. القيمة، أى بتجديد منظومة المفاهيم والقيم الأخلاقية والجمالية .

وعدم إدراك هذا الشرط النفسى حال بيننا وبين إجراء "عملية التبادل" الحضارى مع الغرب أيضا، فلا نحن عرفنا أصولنا ولا أصول الفكر الغربى، وحركة الترجمة أصدق دليل على ذلك .

بتعبير آخر .. لقد كانت نظرتنا الساكنة إلى الأفكار الأوروبية وإعطاؤنا لها قيما رياضية مطلقة حائلا بيننا وبين فهم قيمها الاجتماعية حتى لكأن الحقيقة عندنا تبدأ منذ أن نلتفت اليها .. وكأن لنا أعين ميدوزا بحيث لا يسقط بصرنا على الأفكار حتى

تتحجر .. هذه النظرة الساكنة جعلتنا نغفل أهمية التركيب النفسى فى ظاهرة الثقافة، وبالتالى نغفل عن تعيين الشرط النفسى "لعملية التبادل الحضارى".

وأعنى بذلك أننا أغفلنا التفرقة الجوهرية بين "القيم الذاتية" و"القيم التاريخية" لها. أو بين "القيم المعرفية" و"القيم التراثية" أو بين قيم الأفكار المجردة وبين قيم الأفكار وهى تؤدى وظيفتها الاجتماعية من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية لمجتمع ما.

هذه القضية موضوع قائم بذاته يخرج عن نطاق بحثنا هذا، لذلك لابد لنا من أن نجتزئه فنتحدث عن بعض الفروق:

القيمة الذاتية للفكرة هى قيمتها بما هى قوة، بما هى معرفة، بما هى ثمرة إبداع العقل الإنسانى .. وأما القيمة التاريخية للفكرة فهى قيمتها بما هى فعل، بما هى تحقق اجتماعى مرتبط بثقافة بالذات لأمة بالذات، لحضارة بالذات.

القيم التاريخية للأفكار هى القيم التى تصلنا بطريق التراث، بواسطة التربية فى مجتمع معين .. وهى التى تكون "الضمير الاجتماعى" للفرد وتولد فيه "الفعالية الاجتماعية" وتضبط "سلوكه الاجتماعى" و"الوعى التاريخى المشترك" لقيم هذه الأفكار هو ما نسميه بـ"الضمير الجمعى".

وهو الذى يشكل الرابطة العضوية بين أفراد أمة من الأمم وعليه تقوم شبكة العلاقات الاجتماعية، هو الذى يعطى لوجود الأمة مغزى، وهو الذى يقدم لبقائها ولاستمرارها كأمة وكثقافة تبريرا .. هو حجتها أمام نفسها وأمام الأمم والثقافات الأخرى.

هذه القيم التاريخية للأفكار قيم تراثية، وهى تغنى كلما زاد الحوار الحى مع التراث شدة، وتشتد فعاليتها كلما توثقت الصلة بـ"مضمون" التراث وتجاوزت .. عن طريق النقد .. أشكاله وقوالبه .. وكلما حصل ذلك أمكن للمرء أن يقع على "الخالد فيه" فيدرك بذلك مدى انفتاحه وشموله يشعر بالتالى بضرورة بقائه واستمراره كرصيد لخبرة أمته التاريخية يتمثل فى الحكم التالى:

هذه القيم يجب أن تبقى، أى يجب أن يتناقلها جيل عن جيل، صيغة هذا الحكم هو جوهر القيم التراثية.

بذلك يتحول التراث من أن يكون "عبء الماضى" ليصبح "أفق المستقبل" ويتحرر من قانون "الإكراه الاجتماعى" ليصبح ضربا من "الواجب الأخلاقى".

هذه القيم التاريخية تختلف عن القيم المعرفية بأن هذه الأخيرة قيم معللة مفسرة بينما القيم التراثية قيم فاعلة مغيرة .. الأولى عامة بينما الثانية خاصة، الأولى نتعلمها والثانية نتنفسها، الأولى مرتبطة بالعلوم الطبيعية .. وإلى قدر محدود أيضا .. وبالصناعة أما هذه فبمجال العلوم الإنسانية .. لذلك فنحن لا يمكن أن نصدر على القانون العلمى أو على العملية الصناعية إلا حكما علميا منطقيا نعبر عنه فى النهاية بخطأ أو صواب أما السلوك الانسانى فلا يمكن أن تصدر عليه هذا الحكم إلا فى ظل سلطة مطلقة !!.. بل نحاول تفهمه .. والقيم التراثية هى التى تجعل عمل الإنسان مفهوما وتصرفه ذا مغزى .. ولو كان التصرف الإنسانى ضربا من

"التكنيك الفردي" أو كانت المواقف الاجتماعية ضربا من التكنيك الجمعي لبطل كل حديث عن الحرية وعن الإنسان .

وقد يحتج البعض بأن علم الطبيعة الحديث والصناعة الحديثة وعقلانية التنظيم المرافقة لهما قد قللت من أهمية هذه الفروق، وهذا وهم من الأوهام لأن العلم لا يمكن أن يرث التاريخ والتصنيع لا يمكن أن يحل المسائل الأخلاقية .. وهذا الوهم قائم على الخلط بين مفهومي "تقني" و"عملي" بين النظام العقلاني للحضارة ونظام القيم الأخلاقية والجمالية وهذا ما كشفت عنه دراسات علم الإنسان المعاصر .

المهم هنا أن نؤكد أن عملية نقل الأفكار من منبتها التاريخي يجعلها تتجرد من قيمها التراثية فتصلنا "مجموعة معارف" لا يمكن أن تؤدي في طور حركة النهضة إلا إلى "التكديس" على صورة "سعة علم" أو إلى التشويه على صورة "تقليد مضحك". وبالتالي لا يمكن أن تؤدي نفس الوظيفة الاجتماعية التي أدتها في نطاق ثقافتها ومجتمعها ، أي لا يمكن أن ينشأ عنها ابتكار فردي ، ولا أن تولد فاعلية اجتماعية لأنها تفتقر إلى الأساس النفسي لذلك .. فضلا عن أن تكون أساسا للبعث الروحي شرط النهضة الأول .. أي "الثورة داخل النفس" .

وعلى العكس من ذلك فإن إحياء القيم التراثية وتجديد مفاهيمها هو الذي يهيئ للبعث الروحي الذي يدفع بدوره للتغير الفردي والاجتماعي معا.. إنه لم يكن عبثا أن تنادي الطليعة الواعية لأي مجتمع يود النهضة أو التجديد بفكرة "العودة الى الأصول" .

إن الغفلة عن هذه الحقيقة في حركة نهضتنا هو سبب أزمة اللبرالية العلمانية بالأمس والاشتراكية الثورية اليوم، وهو في نفس الوقت سبب مأساتهما ومأساة المثقف العربي معا .. لقد كنا نلقي بذورا لم نفحصها في تربة لم نحرثها في مناخ لم نعرف خصائصه .

لقد كنا كمن يزرع بذورا ميتة في تربة بكر، أو كمن يستنبت بذورا حية في تربة قاحلة .. التربة هي المجتمع، والبذور هي الأفكار، وفحصها هو التفريق بين قيمها الذاتية والتاريخية، والحراثة هي معرفة الأزمة ، والمناخ هو الثقافة ، ومعرفة خصائصه هي إدراك الشروط النفسية لعملية التركيب .

لقد كنا نستورد ما يروق لنا من الأفكار فنلقيها في مجتمع لم يع القيم التراثية الحية في ثقافته وبالتالي لم ندرك الشرط النفسي للتغير الاجتماعي .

فنحن قبل أن ننظر في ظروف مجتمعنا كان فكرنا متعلقا بمجتمع آخر يثير إعجابنا .. لقد نفضنا أيدنا من تراثنا قبل أن تقوم بحركة إحيائه(٢٠) .. أي قبل أن نكتشفه ونكتشف قيمه الحية الفاعلة في المجتمع ، وقبل أن نقيم تجارب تاريخية ذات أهمية كبرى كتجربتنا مع الثقافة اليونانية سابقا كضرب من التحدي الغربي الثقافي لنا. وتجربتنا مع الحروب الصليبية كنوع من التحدي الغربي السياسي لنا أيضا .. فلم نقارن بين الحالين ونبين أوجه الشبه وأوجه الافتراق ، ولم ندركهما في إطار وحدة واستمرار تاريخنا وبالتالي لم نقيم مغزى هاتين التجربتين التاريخيتين الهامتين في معركة التحدي الغربي الحديث الثقافي منه المتمثل بالعلم الحديث والصناعة الحديثة، والسياسي المتمثل بالغزو الأوروبي

الاستعماري .. ثم مع الحركة الصهيونية والوجود الصهيوني اليهودي الذي يجسد التحديين معا .. لقد كانت اللبرالية العلمانية ضد تيار النهضة في حين ظنت أنها باتجاهه، وكانت الاشتراكية الثورية ضد تيار التقدم في حين توهمت أنها في تياره . لقد الغتا كل إمكانية للتركيب المبدع حين الغتا "أطروحة التراثية" وغفلتا عن الشرط النفسي له أيضا .

هذه هي الأخطاء الثلاثة الأساسية التي ارتكبتها اللبرالية العلمانية والاشتراكية الثورية، فعدم ادراك جوهر الأزمة وهو "الشرط الموضوعي" لمعرفة مفتاح النهضة وعدم التفريق بين قيم الأفكار وهو "الشرط النفسي" لتحقيق النهضة هو سبب أزمتهما ومشكلتهما معا .. ووعي ذلك هو وعي "مغزى" هاتين التجربتين.

هذه الأخطاء الثلاثة هي التي يمكن أن تفسر لنا النتائج التي ترتبت على تلك التجربتين وأهمها .

١- تعثر حركة النهضة .

٢- تناقضات المثقف العربي اليوم .

٣- تناقضات اللبرالية العلمانية بالأمس البعيد والاشتراكية الثورية اليوم، والتي أدت إلى النكبتين .

١- تعثر حركة النهضة

إن مما يدعو إلى الدهشة أن احتكاكنا بالغرب الحديث لم يأت متأخرا أبدا فلقد بدأ منذ نهاية القرن الثامن عشر في حملة نابليون (تموز ١٧٩٨) على مصر .. وبدأ التصنيع فيها واقتباس العلوم الأوروبية الحديثة منذ أيام محمد علي (١٨٠٥-١٨٤٨) وهو بالقياس إلى مراحل التطور الصناعي الحديث في أوروبا نفسها غير متأخر أبدا .. فالانقلاب الصناعي في أوروبا لم يبدأ فعلا إلا حوالي ١٧٥٠ وهو تقريبا نهاية مرحلة الصناعة اليدوية وبداية المرحلة الآلية وقد استمرت هذه المرحلة حتى عام ١٨٦٠ حيث بدأت طلائع المرحلة الميكانيكية التي ما تزال مستمرة إلى اليوم وأن تكن بداية مرحلة جديدة قد غدت واضحة .. والوقت الذي بدأت فيه مصر هو تقريبا نفس الوقت الذي بدأت فيه روسيا أيضا، بل إن اليابان التي بدأت عام ١٨٦٠ قد نجحت نهضتها. فلا يمكن رد تعثر حركة النهضة إذن لعامل الزمن أو لعامل خارجي مهما بلغت أهميته بل لابد من التماسها في فهمنا المغلوط لها ، والذي يتمثل في الأخطاء التي أشرنا إليها(٢١) .

٢- تناقضات المثقف العربي

إن أهم التناقضات التي يعاني منها المثقف العربي اليوم ثلاثة :

١- تناقض بين "معرفته " العلمية و"خبرته" الاجتماعية، أو بين "علمه" و"مجتمعه" ، بين فكرة شلاء لا تنتج عملا وخبرة عمياء لا يضبطها تنظير، بين فكرة لا تتحقق وبين جهد يذهب هدرا .. هذا الموقف لابد وأن يؤدي إلى "عقدة استعلاء" لم حصلت هذا العلم إذا كنت سأظل دونما تأثير ؟.. هذا التساؤل الممض إما أن يؤدي بدوره إلى "اليأس" : إن هذا المجتمع لا يمكن إصلاحه أو إلى "اللامبالاة" : ليكن ما يكون (٢٢) .

والسبب في ذلك أن المعرفة العلمية تفقد قيمتها في مجتمع لم تتحدد بعد هويته ، أي لم يختر فلسفته الاجتماعية للمستقبل بحيث

يمكن أن ينهض عليها نظام من المعايير الاجتماعية تتحدد على أساسه "القيمة الاجتماعية" للفكرة، وبالتالى تتعين "الوظيفة الاجتماعية" للفرد، فإذا افتقدنا هذا النظام فإننا لا نعرف كيف نعطى الأفكار قيما اجتماعية صحيحة وبالتالى لا نعرف كيف نعين الوظيفة الاجتماعية للفرد، أى كيف نضعه فى "مكانه الصحيح". وحين يرى المرء قيمة الفكرة مهدرة وحين لا يجد نفسه فى المكان الصحيح فإنه يصبح بالضرورة عاجزا عن أداء وظيفته الاجتماعية : كيف لى أن أمشى خطوات منتظمة قبل أن أعرف الاتجاه ؟

٢- أما التناقض الثانى فهو قائم فى شعوره بالهوة السحيقة بين "ضميره" و"واقعة"، بين مثله العليا التى تضرب جذورها التاريخية فى أعماق نفسه وبين واقعه اللامعقول الذى يراه ويلمسه لمس اليد : كيف لى أن أحقق مثلى على ضوء معطيات هذا الواقع، وكيف لى أن أغير هذا الواقع دون أن أضحى بمثلى ؟..

٣- والتناقض الثالث قائم بين ما يفرضه "منطق العلم" للعصر الذى يعيش فيه وما يفرضه "منطق التاريخ" الذى تمر أمته بأخطر طور من أطوارها فيه .. فبينما يفرض عليه منطق العلم الحديث "التخصص اضيق" تفرض عليه المرحلة التاريخية لأمته "الإحاطة الشاملة" .. فمن جهة تجده يلمس حاجته إلى التعمق والبحث ويحس الحرقة لمعرفة أدق التفاصيل والجزئيات فى فرع تخصصه ومن جهة أخرى يعتصره الألم اعتصارا على واقع أمته وثقافته المهددتين بمعركة بقاء أو فناء.

إن هذا يجعله مضطرا لتلمس الأسباب خارج الأطر الضيقة للاختصاص هذان التياران يتجاذبانه عكسيا ويمزقانه تمزيقا ..

كيف لى أن أوفق بين واجب العلم وواجب التاريخ ؟..(٢٣) .

هذه التناقضات الثلاثة بين العلم والمجتمع وبين واحدة ..

كيف لى أن أرفع الأنقاض وأن أقيم البناء الجديد وانا فى معركة ؟..

هذه التناقضات الثلاثة بين العلم والمجتمع وبين المثال والواقع وبين روح العصر وطبيعة المهمة، كيف يمكن تجاوزها تجاوزا حقيقيا وسويا ؟.. (٢٤) .

الجواب بالوعى التاريخى والعلم معا، بـ "اكتشاف الذات" و"إدراك المشكلة" معا ، بالتفريق بين القيم الاجتماعية للأفكار والقيم المعرفية، بين القيمة التاريخية لتراثنا والقيمة العلمية للأفكار الغربية موضوع التحدى ، بتحقيق "الشرط النفسى" إلى جانب "الشرط الموضوعى" فى عملية "التركيب المبدع" أساس النهضة .

بذلك يمكن أن يتحول المثقفون من "سواح" الى "رواد" ، من "هواة أفكار" إلى "بناة أفكار" ، من "محترفى ألقاب" إلى "مكتشفى ثقافة" ، من "مهرجى سياسة" إلى "مهندسى نهضة" .

٣ - تناقضات الليبرالية والاشتراكية :

(١) تناقضات الليبرالية العلمانية :

إن بالإمكان تخليص قضايانا فى الفترة التى قامت فيها الحركة الليبرالية العلمانية .. وهو ما اصطلحنا على تسميته من الناحية التاريخية "طور الثورة الوطنية" مقابل "طور التغيير الاجتماعى" فيما يلى :

إن وجود الاستعمار فى أرضنا يدل على وجود قابلياته في نفوسنا ، فلا بد من القضاء على هذه القابليات فينا لتتم ازاحته عنا ، أى لابد من بعث روحى يمهد لقيام حركة النهضة.

لا يمكن توجيه حركة النهضة وفق أهدافنا إلا إذا ظفرنا بالحرية ؛ أى إذا حققنا الاستقلال السياسى والسيادة الوطنية لبلادنا.. ولكى نحقق ذلك لابد من إزاحة الحكم الأجنبى .

لايمكن أن نظفر بالحرية إلا بالثورة .

تلك كانت المشكلة وذاك كان الهدف وتلكم كانت الوسيلة فإذا تنازلنا عن "مبدأ الثورة" كانت النتيجة التمكين للاستعمار فى أوطاننا ، والتمكين لقابلياته فى نفوسنا ، وبالتالى تمكينه إما من إعاقة حركة النهضة أو من توجيهها فى التيار المضاد لها .. وهذا بالضبط ما دعتنا اللبرالية العلمانية إليه حين رفعت شعار "العقل" والتعقل .. وهذا بالضبط هو الدور الذى قامت به حين راحت تثير القضايا التى تقضى على روح الثورة، فبدلا من أن تسهم فى البعث الروحى غذاء الثورة راحت تتهجم على قيمنا الروحية وتمكن للثقافة الاستعمارية فى بلادنا. وبدلا من أن نستجيب لنداء الثائر الروحى جمال الدين الافغانى ولمشاعر الجماهير الإسلامية راحت تثير قضايا "الإسلام والعقل"، "الإسلام والعلم"، "الإسلام والتطور" ، "الإسلام والسياسة" ، "الدين والدولة" ، "الإسلام والديمقراطية"، .. الخ.. مقلدا الفكر اللبرالى الأوروبى فى ذلك تقليدا تماما(٢٥) .

محاولة تحويل النزوع إلى الثورة إلى جدل كلامى تضيع فى ضجيجه قضية الحرية، وتضيع حركة النهضة فى متاهة مظلمة اسمتها "السياسة" لقد تناست اللبرالية العلمانية أن الثورة ليست بنت العقل بل بنت الروح لأن الحرية هنا ليست قضية فلسفية بل قضية مصير .

لكن ما تناسته اللبرالية العلمانية وعقلانيتها أدركته الجماهير المسلمة بفطرتها ، وما لم ينجزه ساستها المتعقلون أنجزته شعوبنا المظلومة فثارت وظلت تقدم الضحايا حتى ظفرنا بالسيادة الوطنية .

(ب) تناقضات الاشتراكية الثورية(٢٦) :

لم تكن السيادة الوطنية غاية نهائية بحد ذاتها بل كانت وسيلة لتوفير الشرط الضرورى لتوجيه حركة النهضة وفق أهدافنا ، أعنى بذلك الحرية .. فالثورة الوطنية كانت مقدمة للتغيير الاجتماعى، لذلك فقد كان علينا بعد أن حررنا دارنا المتهدمة مهمتان .

١- رفع الأنقاض .

٢- إقامة البناء الجديد .

بعبارة اخرى :

- إزالة الأوضاع التى خلفها الاستعمار أو ساهم بإبقائها .

- مواجهة مشكلة التخلف .

بعبارة أكثر وضوحا :

- تدعيم الاستقلال السياسى باستقلال أيديولوجى .

- السير بحركة النهضة إلى غايتها .

وتعتبر الخطوة الأولى مقدمة ضرورية للخطوة الثانية .

أما الأوضاع التى خلفها الاستعمار فمنها ما يعكس بعض مشكلاتنا قبل الاستعمار ومنها ما ساهم الاستعمار فى إيجاده ويمكن

تلخيصها فى أربعة قضايا :
١- التفكك السياسى .
٢- الجمود الفكرى .
٣- التفاوت الاجتماعى .
٤- الثقافة الاستعمارية المتمثلة فى (تيار التغريب) .

وكانت العقبة الأولى فى طريق الاستقلال الأيدلوجى هى الثقافة الاستعمارية المتمثلة باللبرالية العلمانية ومؤسساتها الثقافية التى أقيمت فى ظل الحكم الاستعمارى لتمثل "حضوره" بعد غيابه عن أرضنا .. إذ لم يكن من المعقول أن تترك الثورة الوطنية التى انتهت بالاستقلال السياسى والتى غذاها وقادها الإسلام وجماهير شعوبه للبراليات العلمانية المحلية المتمثلة بالطبقات المحلية من "الافندية والبكوات والبشوات ..الخ" .. كى تجنى ثمارها تحت ستار ديمقراطية كاذبة .. لذلك فقد كان معنى إزالة الأوضاع التى خلفها الاستعمار البدء بإزالة هذه الأنظمة أولا وذلك كشرط ضرورى للشروع بعملية التغيير الاجتماعى .

وجاءت النكبة الأولى فجعلت حتمية التغيير الاجتماعى أو الثورة الاجتماعية فى صدور شعوبنا كالقدر المحتوم لا يمكن أن يقف فى طريقه شئ. وهنا ونحن ندخل هذا الطور .. طور الثورة الاجتماعية .. جاءت "الاشتراكية الثورية" لتؤدى الدور الذى قامت به "اللبرالية العلمانية" فى طور الثورة الوطنية، لتحل محلها وترث مهامها فى مختلف النواحى .. أعنى : أن تسير مرة أخرى بحركة النهضة ضد تيارها، أن ترفع شعاراتها وتغتال أفكارها، أن تدعى أهدافها وتقضى على كل إمكاناتها أن تسرق تطلعات شعوبنا وتضعها فى النهاية أمام طريق مسدود .. بعبارة موجزة أن تتبنى تصفية الثورة وقواها الحقيقية باسم الثورة نفسها وذلك حين تسير بها باتجاه مضاد لها .

ولنشرح بإيجاز الآن الدور الذى قامت به الاشتراكية الثورية وتناقضاتها .

لقد كان واضحا أن الغاية من إزالة الأنظمة اللبرالية وديمقراطياتها الزائفة هو الاستقلال الأيديولوجى، وكانت المهمة التالية هى مواجهة مشكلة التخلف لتحقيق أهداف النهضة وغاياتها .. لكن الاشتراكية الثورية رفعت شعار "تغيير الأوضاع" لتسير بنا فى طريق التبعية الأيديولوجية بدل الاستقلال الأيديولوجى .. وهكذا سرقت الشعار وقتلت الفكرة .. وكذلك رفعت شعار "التقدم" وقضت على كل إمكاناته حين سارت بنا فى طريق "الفوضوية" التى أسمتها زورا وبهتانا "ثورة".

والحقيقة أن هناك ترابطا عاليا بين إزالة الأنظمة اللبرالية والاستقلال الأيديولوجى ومواجهة مشكلة التخلف التى هى فى نهاية المطاف جوهر المقصود من كلمة التغيير الاجتماعى بحيث يمكن اعتبار الخطوتين السابقتين تمهيدا لحلها أو على الأصح لتوفير الشروط لإمكانية حلها وأعنى بذلك الشرطين التاليين :

لابد لحل مشكلة التخلف من سيادة "العقلانية" .. ولا يمكن أن تسود العقلانية إلا فى ظل استقرار سياسى .

لا يمكن قيام استقرار سياسى إلا بالاستناد إلى أيديولوجيا .. أى فى ظل استقلال أيديولوجى .

ولقد كان واضحا لدى شعوبنا بعد الاستقلال الوطنى أن الإسلام الذى قاد حركة

الثورة الوطنية على الاستعمار هو الذى سيقود الثورة الاجتماعية للقضاء على الأوضاع التى خلفها والتناقضات التى عمقها الحكم الاستعمارى .. بعبارة أخرى كان من الواضح ان الإسلام هو أيديولوجيا التغيير الاجتماعى المقبل لاستدراك تطور فات المجتمع الإسلامى بالقياس إلى المجتمعات الصناعية الحديثة .

ولقد كان الإسلام ومايزال قادرا على أن يحقق لنا استقلالنا الأيديولوجى الذى يوفر بدوره الاستقرار السياسى الذى يمكن فى ظله تطبيق العقلانية شرط التقدم .

ولقد أصبح واضحا لدى شعوبنا بعد النكبة الأولى أن الاستقرار السياسى لا يمكن أن يتوفر فى الأنظمة اللبرالية وديمقراطياتها المزيفة، والتى تسير بنا هى أيضا على طريقتها .. فى طريق التبعية الأيديولوجية .

وهكذا يمكن أن نضيف الشرط الثالث لحل مشكلة التخلف عندنا وهو :

٣ - لا يمكن تحقيق الاستقلال الأيديولوجى إلا بتحكيم الإسلام، أو لا يمكن أن تكون أيديولوجيا التغيير الاجتماعى شيئا آخر غير النظام الإسلامى .

كان هذا هو كل معنى الثورة الاجتماعية أو التغيير الاجتماعى .. وما كان يلزمنا على طريق التقدم هو "ثورية عقلانية" لا "عقلية ثورية" كما كانت الحال فى طور الثورة الوطنية على الاستعمار حيث كانت الحرية هدفنا .. ذلك أنه إذا كانت الحرية بنت الثورة والثورة بنت الروح فإن التقدم وليد البحث العلمى والتصنيع وكلاهما توءمان للعقلانية .

فإذا تنازلنا عن العقلانية ونادينا بالثورية التى كانت فى الواقع فوضوية .. فقد سرنا باتجاه مضاد للتقدم ولو زعمنا أننا تقدميون .. وإذا تنازلنا عن الإسلام كأيديولوجيا للتغيير الاجتماعى فقد سرنا باتجاه مضاد للثورة الحقيقية ولو كابرنا وقلنا إننا ثوريون .. والسبب فى هذا التناقض واضح ويمكن أن نلخصه بالعبارتين التاليتين :

دون أيديولوجيا لا يمكن قيام ثورة .

أثناء الثورة لا يمكن قيام أيديولوجيا .

وإلا كانت النتيجة إما ثورة لا هدف لها أو أيديولوجيا تناقض أهداف الثورة .. وهو بالضبط ما آلت إليه تجارب أنظمة الاشتراكية الثورية .. ولو كان الصراع يتم فى "بوتقة مغلقة" لكانت لنا فرصة لإتمام تجاربنا التى بدأناها منذ أكثر من مائة سنة .. لكنه يتم فى عصر صراع الأيديولوجيات العالمية. ولم تكن القومية العربية .. كما لاحظ ذلك الدكتور قسطنطين زريق بحق(٢٧) بقادرة على تحمل ثقل المذهب الاشتراكى ، بحيث أخلت مكانها لـ"الاشتراكية" فحلت "الاشتراكية العربية" بسرعة محل " القومية العربية" .. وبدأت تختفى نفسها "الاشتراكية العربية" ليحل محلها "التطبيق العربى للاشتراكية" ومازال التحول جاريا(٢٨) .. هذا هو التناقض الذى وقعت فيه الاشتراكية الثورية .. وقد كان أمره يهون لولا السبب التالى :

أعنى وجود التحدى الصهيونى الذى كان يتطلب تبنى فكرة "وحدة الأمة" بدل "وحدة الطبقة" و"الوعى التاريخى" بدل "الوعى الطبقى" و "صراع الأمم" بدل "صراع الطبقات" وهكذا.. وقد زاد من خطورة ذلك السبب التالى :

أعنى الصلة الروحية العميقة بين اليهودية والماركسية .. والصلة التاريخية الوثيقة بين الحركات الاشتراكية الأوروبية الشرقية منها خاصة والروسية بوجه خاص والحركة الصهيونية .. خاصة فى عهد ستالين .

هذه الصلات التى لا يمكن أن يفهم تاريخ الحركة الصهيونية بدونها ولا أن تفهم نشأة الأحزاب الإسرائيلية وحركة الاستعمار الصهيونى فى فلسطين بدونها أيضا ، بل إننا لا نستطيع فهم واقع المجتمع الصهيونى اليوم إلا إذا أخذناها بعين الاعتبار .. وأنه لمن الخطأ أن يعلل الاشتراكيون الثوريون اليوم فشل أنظمتهم السياسية كما علل اللبراليون العلمانيون ذلك بالأمس إما بعامل خارجى كالاستعمار أو الإمبريالية، أو بأن مجتمعنا يجهل قيمة الأفكار بدل أن يعترفوا بأنه يتجاهل تلك الأفكار لا لأنها لا تحقق الشرط النفسى الضرورى للتغيير فحسب ، بل ولأنه أصبح يراها تتناقض مع أهدافه الحقيقية تناقضا صريحا .. وإذا كانت اللبرالية العلمانية بالأمس تجاهلت جماهير شعبنا وتناست كثيرا من مآسيه فإن الاشتراكية الثورية قد ارتكبت جرما أكبر حينما باعت مأساته لحساب "حل مرتجل" وامتصت آلامه ونقمته على أوضاعه لحساب "الفراغ" .. الذى تركته يواجهه الآن(٢٩) .

هذا الفراغ هو كل ما تطمع إليه أجهزة الثقافة الغربية لتدمير الشخصية العربية وتخريبها من الداخل ؛ إنه هو عين ما يطلقون عليه "الجو الصالح" أو "المناخ الملائم".. والآن كيف يمكن تجاوز هذه التناقضات كلها ؟..

الجواب بالحل الإسلامى الذى لا بديل لنا منه ولا محيص لنا عنه .

وهو حل حتمى لأنه :

من الناحية الموضوعية الصرفة يقوم على وعى جوهر الأزمة ويحقق الشرط الموضوعى والشرط النفسى لتجاوزها .

من الناحية التاريخية يضمن الحفاظ على شخصية الأمة وعلى أصالة تراثها وتميز رسالتها ، وعلى وحدة واستمرار تاريخها .

من ناحية الواقع قادر على حل جميع التناقضات القائمة فى المجتمع العربى اليوم، سواء أكانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية .. وسواء أكانت تناقضات فى التركيب الداخلى للمجتمع العربى أو فى صلات هذا المجتمع بالمذاهب والكتل العالمية كتناقضات التفاوت الاجتماعى أو التجزئة السياسية أو الاقتصاد المغلق .

من ناحية المستقبل يوفر جميع الشروط الضرورية للعمل على رد التحدى الصهيونى اليهودى فى فلسطين ، والتى يمكن صياغتها مبدئيا بالعبارة التالية .

الإيمان منطلقنا ، والأرض هدفنا ، والجهاد وسيلتنا ، والعلم منهجنا ، فالإيمان بالحق لتحقيق ذلك الهدف بهذه الوسيلة حسب هذا المنهج هو الطريق الوحيد لاستعادة فلسطين ، المساحة الجغرافية المفقودة من وطننا بتحقيق "وحدة التراب العربى" كجزء لا يتجزأ من "وحدة دار الإسلام" .. والطريق الوحيد لاسترداد فلسطين المساحة التاريخية المفقودة من ذاكرتنا وتحقيق وحدة التاريخ العربى كاستمرار للتاريخ الإسلامى .. وإلى اللقاء فى العدد القادم مع نكبتنا الثالثة ..

توفيق الطيب

الهوامش

١١- يجب أن نحدد مفهوم "التخلف" أو "النمو" ومفهوم "الشعوب المتخلفة" أو "النامية" لأن الغرب يريد تعميمها وإطلاقها وذلك تمشيا مع منطق الثقافة الاستعمارية الأوروبية كبديل لمفاهيم سابقة فى الفلسفة وعلم الاجتماع والسياسة وغيرها نشأت فى ظل نظرية العرقية فى القرن الماضى .. بينما هو مفهوم اقتصادى بحت يتصل بالبحث العلمي الحديث والصناعة الحديثة فقط .

١٢ - كانت الصهيونية تحتج بأن العرب متخلفون وأن رسالتها تمدينية .. هذا من حيث الدعوى ، أما من حيث الواقع فلو كانت بلادنا تملك القوة المستندة إلى العلم والصناعة لحال ذلك بينها وبين اختيارها وطنا لها فى فلسطين .

١٣ - قارن : دكتور قسطنطين زريق : "معنى النكبة مجددا" بيروت ١٩٦٧ ، ص ٤٢ .

١٤ - هكذا غدت الرأسمالية هى "الخطيئة" و"البروليتاريا" هى "الشعب المختار" والحزب هو "المخلص" ، و"الثورة" هى "الفداء"، و"الشيوعية" هى "مملكة السماء" و"المحترفون الثوريون" الذين "يستشفون" أعمق أعماق "الطبقة الكادحة" ويمثلون "الوعى الصحيح" للـ"كادحين" هم "الكهنة" الجدد الذين يتلقون "الأسرار الحقيقية" من خلال "رواهم" ويذيعوها على "المؤمنون" .. وأخرويات هذه العقيدة الجديدة ليست "ميتافيزيقية" بل هى أخرويات علمية فهى "اشتراكية علمية" . . أما الطقوس والابتهالات فيتلمسها هؤلاء فى نظرية وتكتيك الحزب عند لينين. (تراجع فى هذا الصدد دراسات كارل لوفيت خاصة كتابه "من هيجل إلى نيتشة" و"تاريخ العالم والأحداث المقدسة".. ولقد أعطى المفكر الماركسى أرنست بلوخ فى كتابه "مبدأ الأمل" دليلا آخرا على الأساس اللاهوتى لمفاهيم فلسفة التاريخ الماركسية .. لذلك فليس عجيبا أن يستفيد من هذا المؤلف اللاهوتيون الكاثوليك والبروتستانت على السواء.. والجدير بالذكر أن لوفيت وبلوخ يهوديان) .

١٥ - هذا التعبير هو للكاتب التونسى محجوب بن ميلاد فى كتابه "الفكر الإسلامى ".

١٦ - أن هذا لا يعنى "الانغلاق" والرفض .. كما يتهم اللبراليون بالأمس والاشتراكيون اليوم الاتجاه الإسلامى .. بل يعنى بالضبط توفير الشروط الموضوعية للانفتاح والحوار وبالتالى لإمكانية "تبادل ثقافى" مجد وفعال .. أما موقف النقل والتقليد والجمود .. موقفهم .. فهو وحده الذى حال وسيحول أيضا دون ذلك كما سنرى فيما بعد .

١٧ -لقد أعطيت قيم الأفكار المرتبطة بالنظام العقلانى للأفكار المرتبطة بنظام القيم الأخلاقية والجمالية من الحضارة الأوروبية .. لقد طبقت الأحكام المتصلة بالعلم والصناعة على المفاهيم والقيم، بحيث أصبحت خصائص الأحكام العلمية ـ العمومية والشمول .. خصائص للأحكام الأخلاقية والجمالية .

١٨ - لقد حولت النصرانية الفكر الأوروبى عن "عالم الطبيعة" .. كما كانت الحال عند اليونان .. إلى "عالم الإنسان".. وبذلك تحول مفهوم "الطبيعة الانسانية" ـ الفطرة إلى "وجود تاريخى" . وقد كان هذا التحول الخطير نتيجة لـ"تنصير" المفاهيم اليونانية .. وقد كان لذلك آثاره البعيدة فى الفكر الأوروبى يهمنا منها هنا ما يلى :

إن الغربيين أصبحوا يعينون خصائص الإنسان من خلال التاريخ ويحاولون فهمه من خلال هذه الخصائص ولا يفسرون تاريخ الإنسان من خلال خصائصه الطبيعية.. وهناك فرق كبير بين أن نعتبر الإنسان جزءا من

الطبيعة فنسلم بأن له "خصائص طبيعية ثابتة" خلال كل أطوار التاريخ فنعين على أساسها مفهومنا عنه ، وبين أن نستخلص للإنسان من خلال أطوار تاريخه "خصائص معينة" فنجعلها "خصائص طبيعية" له .

وزاد الطين بلة أن هذه الخصائص استخلصها الغربيون من التاريخ الغربى وحده .. والمعايير التى استندوا إليها فى ذلك معايير خاصة بحضارتهم سواء الإغريقية أو اللاتينية المسيحية أو الحديثة فهى معايير خاصة بقارة أو حضارة معينة . لقد كانت كلمة "عالم" إلى وقت قريب جدا مرادفة لديهم فى المصطلح التاريخى بكلمة "أوروبا" أو "الغرب" ، وكانوا يتحدثون عن تاريخ العالم بهذه الصفات .. على أن كلمة "تاريخ العالم" نفسها تعبير خاطئ لأن العالم ليس له تاريخ بل هناك تاريخ الإنسان فى العالم .

حين انكرت "الطبيعة الثابتة" للإنسان فقد أصبح "صنعة" سهلا ، خاصة على أثر إنجازات العلم الحديث .. وهكذا بدأت بعض المذاهب التربوية تنكر الفطرة وتتحدث عن "صنع الإنسان" .. وأصبح أهداف الثورات "تغيير الإنسان" .. = "صنع إنسان جديد" .. وحينما أصبح "تاريخ العالم" هو "تاريخ الإنسان" فقد غدت حتمية الطبيعة حتمية تاريخية .. وحينما كان المقصود عندهم بتاريخ الإنسان "تاريخ الإنسان الأوروبى" فقد أصبحت حتمية التاريخ تعنى فى الواقع "تغريبا بالقوة" أى بقوة التفوق العلمى للغرب بما فيه القوة المادية .

لقد كان هذا هو أحد الأسباب العميقة فى رأيى لفشل كل محاولات المذاهب الإنسانية فى الغرب ، بل إنه السبب الذى يحول بين الفكر الأوروبى المعاصر وبين قيام حركة إنسانية حقيقية لا مذهب إنسانى جديد .

١٩ - ومع أن صفة "العطالة" من مفهوم المادة فى علم الفيزياء .. فيزياء نيوتن .. قد أصبحت موضع شك فى الفيزياء الذرية اليوم وبدأت صنعة الديناميكية" أقرب لأن تحل محلها فى المفهوم الجديد لها ، ومع أن الديناميكية هى صفة الفكر الإنسانى الأصيلة فإن قانون العطالة ما يزال ساريا على تفكير الاشتراكيين الماركسيين فى بلادنا ، بل هم يريدون تطبيقه علينا أيضا. بل هناك ما هو أدهى من ذلك أن التطورات الأخيرة فى الفكر السوفيتى تدل أن التكنولوجيا نفسها ستكسر جهود الأيدلوجيا .. أما جمودهم الأيديولوجى فقد استحال إلى ضرب من التحجر .

٢٠ -إن إحياء التراث لا يكون فقط بـ "إعادة طبعه" بل بإعادة فهمه وتمثله واستيعابه وهضمه والتزام معاييره .

٢١ - لعل خير ما يمثل مخالفة تيار اللبرالية العلمانية فى الثقافة العربية لحركة النهضة هو القضايا التى أثارها والمشكلات التى شغلنا بها والإنتاج الذى صدر عنه منذ فرح انطون إلى لويس عوض - أو منذ محمد عبده إلى محمود شاكر سواء فى مجال الفكر أو الأدب، أو فى مجال الفكر السياسى والحركات السياسية حيث يدعو الأمر إلى الأسف ..

أما للدلالة على مدى مخالفة التيار الاشتراكى الثورى لحركة التقدم الحقيقية وفهمه المغلوط لها فإنه من المستحسن - لمجرد الإشارة فحسب أن نذكر بالإجابة التى أعطاها لينين مرة حين سئل عن الاشتراكية فقال : تعميم الكهرباء فى الاتحاد السوفيتى .

٢٢ - بهذين الذهانين يمكن أن نفسر ظهور فكرة "العبث" و "الانسلاخ" من الماضى اللتين سيطرتا على الإنتاج الأدبى فى السنوات العشر الأخيرة ، خاصة فيما يسمى بالشعر الحر، ويمثل الشارع العراقى المرحوم بدر شاكر السياب - خاصة فى ديوانه أنشودة المطر .. قمة هذا التمزق الذى ذهب هو نفسه ضحيته .. كما أنه

يمثل من جهة أخرى الاتجاه الوسط بين الذين رأوا فى الشعر الحر حركة تجديدية فى نطاق الشعر العربى كالدكتورة نازك الملائكة ـ كما فى كتابها قضايا الشعر المعاصر وبين الذين أرادوه وسيلة للانسلاخ الكامل لا من قواعد التراث الشعرى فحسب بل من التراث العربى كله كخليل حاوى ومن شابهه .. وقد بينت نازك الملائكة أخطار هذا الاتجاه الأخير فى مقالاتها التى ألقتها فى الدورة الخامسة لمؤتمر الأدباء العرب .. راجع "حضارة الإسلام" عدد تموز ١٩٦٥ ومن الجدير بالملاحظة أن فكرتى العبث والانسلاخ اللتين سيطرتا على هذا الاتجاه قد ظهرتا عقب النكبة الأولى مباشرة .. وقد شجعت عليه حركة الترجمة المشبوهة لبعض التيارات الأدبية فى الغرب عقب الحرب العالمية الثانية ـ سارتر، دى بفوار ، كامو ، ساغان. والتى استغلت الوضع النفسى الذى نشأ عن النكبة الأولى فنشطت نشاطا هائلا لتحقيق أغراض عملت لها أجهزة الثقافة الاستعمارية منذ أكثر من نصف قرن ، وها هى اليوم عقب النكبة الثانية تود أن تضع المثقف العربى فى وضع "الاستسلام المطلق" ليخلو لها تنفيذ مخططها .. ومن المفارقات أن هذا النوع من الأدب قد تبنى ما أسماه بـ"الالتزام" والذى لم يكن يعنى فى الواقع غير الانسلاخ واغتيال حرية الأديب لحساب "الدولة" راعية الأدب !!.. وذلك تمهيدا لنشوء "قومسيارية الثقافة" .. وليس أدل على ذلك من إنتاج ما أسموهم بـ"المتفرغين" الذى لم يكن غير نوع من الورم الثقافى الذى نكبت به أمتنا فى ثقافتها كما نكبت فى أرضها .

٢٣ - من نتائج هذه التناقضات الظواهر الثلاثة التالية التى يلاحظها المتتبع للإنتاج الثقافى فى بلادنا وهى الفصام الاجتماعى والازدواجية والتلفيق .

١ - الفصام الاجتماعى ونعنى به وجود نوع من الإنتاج الثقافى يعالج مشكلات لا صلة لها بواقعنا الاجتماعى مطلقا .. حتى أن رجال الاختصاص العلمى لا يتحرون موضوعات دراستهم من مجتمعنا . هذه الظاهرة نجدها فى التيار الإسلامى وتيار التغريب على السواء .. ونجدها فى تيار الثقافة الإسلامية فى أدب الدفاع الذى شغله "ماضى الانا" أكثر من حاضره وفى تيار التغريب الذى يشغله "الآخر" أكثر مما تشغله الأنا ماضيا وحاضراً .. الأول يستمد رصيد حججه من القيمة التاريخية للتراث غالبا ، والثانى من تقدم المجتمع الغربى دائما . وكلاهما يعتبران ردة فعل على الغزو الثقافى الغربى الحديث خاصة الاستشراق .. الأولى سوية والثانية مرضية. ومن المفارقات فى هذا الصدد أن نجد تيار التغريب يحتج على التيار الإسلامى بأنه يتجاهل الواقع مع أنه هو نفسه أبعد منه فعلا عن مواجهة الواقع ومشكلاته الحقيقية .. وقد روج تيار التغريب خدعة كبيرة حين جعل من مصطلح "الواقع" و"الواقعية" ـ وكذلك الموضوعى والموضوعية .. كلمات سحرية تستخدم فى الجدال ضد التيار الإسلامى عامة والقيم الأخلاقية الإسلامية بوجه خاص، وذلك كدليل إثبات صحة وجهة نظر ما عن طريق إضافة معنى زائد وإلصاقه إلصاقا، لا كمفهوم مضبوط التحديد يشير إلى منهج فى التفكير يعوز فكرنا المعاصر إذا تأملنا خصائصه الأساسية الحالية .. فمن الظواهر المألوفة اليوم أن الشاب المثقف المسلم الذى يعرض وجهة نظره معللة تعليلا كافيا لا يواجهه المستغربون بوجهة نظر نقدية مقابلة، بل بعباراتهم السحرية لنكن واقعيين .. الخ ، وليس أدل على هذا الفصام الاجتماعى من موقف المثقفين العرب من نكبة فلسطيننا على صعيد الفكر والعلم والأدب والسياسة

جميعا حيث لابد من الإقرار بالفشل والاعتراف بالعار .

٢ - الازدواجية ونعنى بها وجود اتجاهين متضاربين وتيارين متعارضين فى ثقافتنا المعاصرة كل منهما يسير فى اتجاه مخالف للآخر تماما تيار الثقافة الإسلامية الأصيل وتيار التغريب التقليدى .. سواء أكان ذلك فى داخل المجتمع الواحد أو فى حياة الفرد .

٣ - التلفيق ونعنى به ضربا من الإنتاج ليس له اتجاه واضح ولا يعبر عن فكر صارم أبدا .. بل جل همه "الانتقاء" ووظيفته "الوساطة".. فهو يستعير من الأطراف المختلفة وجهات نظر متباينة يحاول أن يعقد بينها "مصالحة".. هذا الضرب من الإنتاج الثقافى هو أخطر أنواع الإنتاج فى رأيى، لأنه أكثرها دلالة على انعدام المسئولية .

٢٤ - من أمثلة التجاوز المرضى للتناقض الأول أن يلجأ المرء إلى الانطواء على النفس انطواء ممضا يحرق فيه أعصابه على صورة انتحار بطئ أو أن يلتحق بحركة سياسية متطرفة أو أن يستسلم لطريقة صوفية .. كل ذلك كمحاولة منه للثأر من المجتمع عن وعى أو عن غير وعى .

ومن أمثلة التجاوز المرضى للتناقض الثانى أن يتشبث المرء بمثله لدرجة التحجر أو أن يضحى بها لحد الميوعة، بدلا من الانفتاح على الواقع والتميز بالمثال .. وهذا النموذج إذن فى بلادنا مألوف بحيث أصبحنا نرى علائق مشوهة بين المرء ومثله، وشخصية معقدة مضطربة لا تدل مواقفها على أصالة فكرية أو اخلاقية.

ومن أمثلة التجاوز المرضى للتناقض الثالث مختص فى الفلسفة الغربية لا يعرف من تراثنا إلا أقل القليل يخوض فى مسائل قرآنية فيسقط تجربة أوروبية معاصرة على إحدى تلك المسائل فيخرج لنا بما أسماه "مأساة إبليس فى القرآن".. وعالم جليل متمكن من التراث ، لكنه لا يعرف عن الفكر الغربى إلا العموميات فضلا عن الأبحاث البيولوجية المعاصرة يكتب لنا فى مذهب داروين .. فالأول يشعرنا بمغالطة عجيبة أنه مشغول بمعالجة مشكلة من مشكلات التراث ، وبالتالى فهو يؤدى واجبا بينما قضية تراثنا اليوم هى بالتأكيد ليست فى مأساة إبليس .. والثانى يشعرنا بمغالطة شبيهة بتلك أنه يعالج مشكلة من مشكلاتنا المعاصرة، وبالتالى فهو يؤدى واجبه أيضا مع أن مذهب داروين لم يعد اليوم أحد مشكلاتنا المعاصرة .. فذاك يريد أن يقوم بدور سارتر فى عصر نحتاج فيه إلى الغزالى ، وذاك يريد أن يقوم بدور فريد وجدى فى وقت نحتاج فيه إلى أبى حنيفة. وكلاهما دليل على أن الجهل بالتراث أى ضعف الوعى التاريخى فى أداء الواجب الاجتماعى يشوه وظيفة الاختصاص ، وأن تجاوز الاختصاص فى أداء هذا الواجب يسئ إلى سمعة التراث .

لقد أدى الإسراف فى مثل هذا الإنتاج إلى أن تغدو مؤلفات كثيرة وكأنها الطلاسم خاصة فى السنوات الأخيرة فى لبنان ومصر بوجه خاص حيث رأينا مشايخ الطرق الصوفية يكتبون فى الاشتراكية العلمية .. أو رجال الصحافة أو السياسة يكتبون ويجتهدون فى العبادات الإسلامية .. مما دفع كاتبا كعبد الله القصيمى لأن يؤلف كتابا بعنوان "العالم ليس عقلا" .. إن جل هذا الركام يخدم غاية واحدة هى إيصال المثقف العربى إلى حدود العبث ، الذى يعنى هنا استعصاء الظواهر على الفهم . ومثل هذا الموقف سيجعله يشك بفكره وقيمه ويتيه فى دوامة من فوضى المفاهيم "تشل عنده ملكة التفكير وملكة الإرادة ويصبح عاجزا عن

التخطيط لمستقبله، بحيث يمكن وضعه فى إطار مخطط جاهز. وهذا هو فى الواقع جوهر الاستعمار .. أو حسب تعبير الأستاذ مالك بن نبى هو القابلية للاستعمار بعينها .

٢٥- لعله من المفيد هنا إيراد أحد الأمثلة وهو كتاب فرح انطوان "ابن رشد وفلسفته" ـ مصر ١٩٠٢ .. الذى كان اقتباسا وفهما مشوشا لكتاب ارنست رينان "ابن رشد والرشدية" [باريس ١٨٥٢] وقد شغل هذا الكتاب الإمام محمد عبده فترة طويلة ، ودار نقاش وجدال كثير حوله على صفحات مجلة [الجامعة] آنذاك .. وبهذا الجدال بين محمد عبده وفرح أنطوان يبدأ التاريخ للبرالية العلمانية فى العالم العربى فى رأينا .. وإن كانت جذورها تمتد إلى أبعد من ذلك .

٢٦ - كان ينبغى أن ندعوها "الاشتراكية العسكرية" لأن ذلك أقرب للدلالة على حقيقتها لولا أن التعبير الأخير قد درج فى الاستعمال .. ولقد كان الكاتب الشيوعى أنور عبد الملك محقا حين عنون لرسالته الجامعية التى وضعها عن مصر بالفرنسية بـ مصر مجتمع يبنيه العسكريون فعلا .

٢٧ - دكتور قسطنطين زريق "معنى النكبة مجددا" ، بيروت ١٩٦٧ ص ٢٩ .

٢٨ - واللاهوتيون الماركسيون ينتظرون بالطبع تحقق نبوءتهم.. أعنى أن تصرع "الاشتراكية العلمية" الاشتراكية الطوباوية ـ الخيالية .. وفى اعتقادى أن الشيوعيين الذين استطاعوا أن يحولوا حرب فلسطين من حرب بين شعبين وأمتين وثقافتين إلى "حرب إمبريالية" يهدفون اليوم إلى أن يجعلوا مهمة "البروليتاريا" "تحويل الحرب الإمبريالية إلى حرب أهلية" تماما كما فعل لينين .. وهذا وحده هو الذى يبرر رفع شعار "الحرب الشعبية" فى سوريا ، والتى يناقض واقعها تماما المناقضة تحقيق هذا الشعار. واذا كان تكتيك عام ١٩٥٦ قد اقتضى إخراج الشيوخ والاطفال لحفر خندق حول دمشق لحمايتها من اليهود .. بحجة أن النبى عليه الصلاة والسلام فعل ذلك فى المدينة !.. فإن تكتيك اليوم يقتضى تعميم الزى العسكرى وضروب أخرى من التهريج لقد رأينا أمام أعيننا عام ١٩٥٦ شيخا هرما يحمل المعول ويحفر الخندق والدموع تنهمر من عينيه فقد خيل إليه أنه يكرر فعل النبى ﷺ .. بينما كان هو نفسه العوبة فى يد عصابة كان زعماؤها يجلسون فى أحد المقاهى ينظرون إلى الركب وهم يسخرون .. ورغم أن الحادثة متعددة أوجه الدلالة فإنها تبرز أى تناقض إنسانى عميق يكمن فى جوهر الشيوعية .. ومما يؤسف أن كثيرا من الشباب المسلم المثقف اليوم كهذا الشيخ أو أسوأ.

٢٩ - لعل هذا ما يفسر لنا لجوء الأنظمة الأخيرة إلى التغيير عن طريق مزيد من العنف .. فاللجوء إلى العنف فى ميدان التغيير الاجتماعى هو دائما تعبير عن العجز عن إدرك الشروط النفسية للتحول . وينعكس ذلك على النظام أو الحزب الحاكم أيضا.. فكلما قلت المعرفة العلمية بتطوير بنى نظام ما أو حزب ما وحمايته من خلال ذلك ، كلما ازداد التشديد على العقاب فيمن يخرج على النظام أو على أوامر تنظيم أو تعليمات الحزب .. وهذا هو الطريق نحو الدكتاتورية والإرهاب .. هذه الظاهرة فى المجتمع هى التى نسميها لدى الفرد بـ"المراهقة" سواء فى التفكير أو فى التصرف .. فمن يجهل "فن التركيب" لابد وأن يلجأ إلى "طريق العنف".. والعنف فى الحركات السياسية هو تعبير عن ذهان اليأس والتطرف فى اتجاهاتها بالانسلاخ من الماضى هو تعبير عن ذهان اللامبالاة .

السابقون إلى الدار الآخرة

وهذا فارس آخر من فرسان الله المجاهدين والمدافعين عن حياض الإسلام .. فاضت روحه الطاهرة منذ أيام قلائل وصعدت إلى الرفيق الأعلى هو الشيخ محمد عبد القادر المعناوى .. ناصر السنة فى الصعيد والمربى الفاضل لعدة أجيال ومؤسس المساجد العديدة التابعة للجمعية الشرعية .

لقد توفى الرجل الطيب عن عمر يناهز التسعين عاما بعد أن وهب عمره للدعوة إلى الله بالتى هى أحسن .. فأرسى دعائم السنة فى بلدته "المعنى" وحارب البدعة كما علم الناس أمور الدين الصحيحة بعيدا عن الخرافات .

لقد كان محبا لأهل بلدته تربطه بهم علاقات المودة والمحبة والإخاء، وكان يسعى دائما لعمل الخير وكل ما يسعد أبناء بلدته .

نعته جريدة الأسبوع على لسان رئيس تحريرها الأستاذ محمود بكرى ، وهو من نفس البلدة "المعنى" - محافظة قنا - تحت عنوان : وداعا شيخنا ..

"بحزن عميق وإيمان بالله وقدره تلقينا نبأ رحيل شيخنا ومعلمنا الجليل الحاج محمد عبد القادر.. ذلك العالم الذى تعلمنا على يديه أن خدمة بلدنا والتفانى من أجلها هو واجب مقدس .. علينا أن نسير على دربه وأن ندور فى فلكه ، فقد كان بالنسبة لنا منذ الصغر القدوة الحسنة والنموذج الذى يُحتذى فى الخير والعطاء "..... أ . هـ

نعم كان الشيخ محمد عبد القادر رحمة الله عليه ولا نزكى على الله أحداً .. كان نقى القلب، واسع الصدر تمتلئ روحه بالإيمان واليقين .. كان من ذلك الجيل الذى لا يُعوض..

تحول بيته إلى منفى للعلماء ، فعندما صدر قراراً بنفى فضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب فايد إمام أهل السنة الأسبق ومن علماء الأزهر الشريف إلى قنا بعد أن كتب مقالته الثائرة فى مجلة الاعتصام -رد الله غربتها- تحت عنوان : بسم الله والله أكبر .. فليستقل شيخ الأزهر ، وبعد أن استقبله الشيخ محمد عبد القادر ضيفاً عليه كتب الشيخ فايد مقالته الثانية : ومن قنا أيضا .. بسم الله والله أكبر .. فليستقل شيخ الأزهر ، كما أقام عنده أيضا الشيخ الكرمى شيخ معهد أسوان السابق والدكتور محمد عاشور رئيس تحرير الاعتصام .. رحم الله الجميع ..

ومن أسرار قدر الله العجيب أن تتوفى السيدة حرمه قبل وفاته بساعات ..

نسأل الله لهما المغفرة وجمع بينهما فى دار الخلود ، وجزى الله الشيخ محمد عبد القادر خير الجزاء وأجزل له الثواب والعطاء وألحقنا به على أحسن حال مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

المختار الإسلامى

نريد أن نكون حيوانات

تنطلق الكلاب
فى مختلف الجهات
بلا مضايقات
تلهثُ باختيارها
تنبحُ باختيارها
تبولُ باختيارها .. واقفة
أمام"عبد اللات"
بلا مضايقات ؟!..
وتعرب الحميرعن أفكارها
بأنكر الأصوات
بلا مضايقات
وتمرقُ الجمال
من مراكز الحدود
فى أسفارها
وتمرقُ البغالُ فى آثارها
من غير إثباتات
بلا مضايقات
ونحن نسل آدم
لسنا من الأحياء
فى أوطاننا
ولا من الأموات
نهرب من ظلالنا
مخافة انتهاكنا
حظر التجمعات ؟..
نهربُ للمرآة
من وجوهنا
ونكسرُ المرآة
خوف المداهمات ؟..
نهربُ من هروبنا
مخافة اعتقالنا
بتهمة الحياة ؟..
صحنا بصوت يائس :
يا أيها الولاة
نريدُ أن نكون حيوانات
نريدُ أن نكون حيوانات ؟..
قالوا لنا : هيهات
لا تأملوا أن تعملوا
لدى المخابرات

أحمد مطر